سلسلة

عُمار الكون

تقدمها

اوركا للنشر والتوزيع

روايات تتناول مواجهات مع حيوات
غامضة أتت من أكوان متوازية وتداخلت
فى عالمنا

زاى

كائن تمدد داخل عالمنا

الكتاب الأول

محمد ايهاب وصفى

صدر من هذه السلسلة

عواء الليل	ذات الأحراس
لم تكن مثلنا	لعنة الخلود
لصوص الفضاء	المشبوه الغامض
أبناء المجرة	التراث الدامى
جند السليسيارو	صائدة الوجوه
أتت لتنتقم	فخ النيرفانا
الفرعونة الحية	العقرب الأخير
خليج الشيطان	الاستدراج
أنامل بلا بصمات	استدعاء الشر
عبدة إبليس	المدفون الحى

للنشر والتوزيع
محمد ايهاب وصفى
orkahouse@gmail.com
01026322448

الأكوان المتوازية

العلم والمعتقدات الدينية أشارت بوضوح إلى فرضية وجود السماوات السبع والأكوان المتعددة أوما يطلق عليه "المالتيفيرز" .. ولن نتطرق إلى النواحى الدينية خوفاً من الإنجرار لأى شطط

وتتحدث المعلومات المستخلصة عن مرحلة بدائية للإنفجار العظيم أن الكون كان عبارة عن حالة غازية .. ثم تكونت الأجرام السماوية بعد ملايين السنين وكانت ذات ضوء عالى الإبهار "مصابيح ودخان"

ولعل أبعد ما إكتشفة العلماء في الكون هو "الكوارزات" وهى أجرام سماوية ذات إضاءة عالية جداً وهى أول نجوم المجرات التي تكونت فى الكون بعد الإنفجار العظيم والتى ذكرت فى الأثر ومشابهة تماماً للتى تنبأ بها العلماء على مر السنين

وقد أكتشف هذا الإعجاز من قبل وكما قلنا هى أبعد شىء إستطعنا التطلع اليه علمياً وفلكياً وفيزيائياً وكيميائياً وحسابياً وبحوثاً فضائية ..

نستنتج من ذلك أن السماء الدنيا فيها كوننا الذى نعيش فيه بينما يحيط بهذا الكون أكوان أكبر وأكبر ففي الدراسة الميكانيكية لثقوب الكون التى تم إجرائها من قبل العالمان الألمانيان "أينشتاين" و"شوارتزشيلد" تقول أن الثقب الدودى قد يكون الممر لكون أكبر يحيط بكوننا هذا أو يكمن داخله بعيد عن إحساسنا به .. وله قوانينه الخاصة به فى كل شىء ..

المادة تدخل الثقب الأسود وتسافر عبر الثقب الدودى ثم تخرج من خلال الثقب الأبيض أى أن الممر الوحيد للدخول إلى الكون التالى هو السفر عبر ذلك الثقب الدودى الداخلى ..

بعض النظريات الفيزيائية كميكانيكا الكم ونظرية M ونظرية الأوتار تؤيد فكرة وجود الأكوان المتعددة وتضع عدة نماذج لأكوان إفتراضية .. فالإقتراب من الثقب الأسود من ملايين ملايين الكيلومترات محال ذلك أنه يجتزب الكواكب فيمتصها ويفتتها ويغير تركيبها الفيزيائى والكيميائى

وهناك بعض النظريات الرائجة فى المؤسسات العلمية المهتمة بدراسة تعدد الأكوان المتوازية كنظرية" الكون اللانهائى"ونظرية "عوالم إفريت " ونظرية " الكون التضخمى " ونظرية "الأوتار الفائقة" ونظريات أخرى لا يمكن التحقق من صحتها أو عدم صحتها و الله تعالى أعلم وأحكم

لكن المعتقد القريب يقول أن النموذج الأصح هو كون يحيط به كون آخر وهكذا تم التعبير عن الثقب الدودى على أنه هو "المعارج" التى تنقل من عالم لعالم أو من سماء إلى سماء تم ذكر الثقوب السوداء على أنها الخنس الجوارى الكنس

جميع ما ذكر من تعبيرات فى السماء كالمصابيح والنجوم الطارقة والخنس الجوارى الكنس إكتشفها العلماء إلا شيء واحد هو المعارج والعلماء في طبيعة الحال لم يروا الثقوب الدودية وكما نعرف فالثقوب الدودية داخل الثقوب السوداء والعلم لا يعرف بالتحديد سرعة السفر فى الثقوب الدودية هل هى كسرعة الضوء أو أسرع .. وعموما هذه مجرد فرضية لا يؤخذ بصحتها وقد تكون خاطئة أو صحيحة أو فيها أخطاء ولسنا متأكدين من شيء .... والله أعلم بما لا يمكن أن نتخيل أننا به عالمين ..

والسماوات الأخريات لا يمكن لبشر أن يتخيلها أو يعى ماهيتها لكن المعروف أنها محيطة ببعضها البعض .. والأمور الكونية من المستحيل أن يعيها عقل الإنسان لأنها تفوق حدود عقله واستيعابه وخاصة فيما يخص الأكوان الموازية .. فلنا أن نخيل وندرس ما نريد .. لكن من المستحيل أن نقرر واقعاً ..

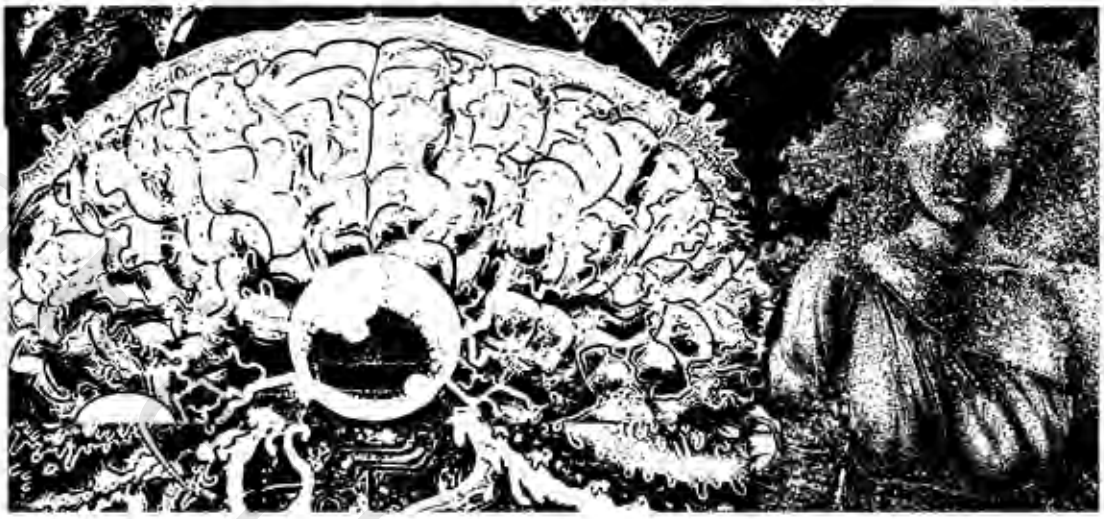

ولايعنى هذا نفى عالم الجوف الأرضى أيضاً .. نظرا للأدلة عليها .. وإن كان يظن أن المقصود به العالم السفلى .. وهو عالم لا يقل تيها عن العالم العلوى .. ويكفى أن نقول أن عالم واحد لا نعرف عنه إلا القليل جداً هو عالم الجن .. ومن لا يعترف بوجوده يكون كافراً .. فقد ذكر صراحةً فى كل الأديان

لا حدود لكلمات الله وقدراته "كن فيكون" فالله سبحانه بإمكانه ان يخلق مثل الكون أكوان عديدة .. وسبحانه يخلق ما لا قدرة لمخلوق على إستيعابه .. فهل خلق كل هذا لتوضع فيه الكرة الأرضية التى لا تساوى نسبياً مثقال جناح بعوضة ... ؟

والحقيقة أننا لا نعلم مم يتألف الكون ولا نعلم إلا القليل عن المواد التى يتكون منها كوننا

نحن نعلم فقط القشور المحيطة بنا والمواد الموجودة بسبب الجاذبية ونتكهن بالتحليل العلمى مما يتألف من النجوم و المجرات و الكواكب التقليدية لكنها بالطبع لا تشكل الوزن الأساسى فى الكون .. فعند دراسة العلم للمجرات كانت الصدمة فوزن النجوم و كمية المادة التى تتألف منها غير كافيتين لتثبيتها فى مجرات بل يجب وجود مادة إضافية ذات وزن هائل فى المجرة مع المادة المنظورة في النجوم لتثبيتها على شكل مجرات وهذه المادة أسماها العلماء بالمادة المظلمة و هى موجودة داخل المجرة بكميات تساوى آلاف أضعاف كميات المادة المنظورة التى تتكون منها النجوم و الكواكب .

ومن الثابت علمياً أن الكون المرئى المادى يتألف من جزيئات وهذه الجزيئات بدورها تتألف من جزيئات أصغر تتألف من ذرات وعلى هذا المستوى الضئيل هنالك أربع قوىتتحكم فيها

نظرية "الخيوط الفارقة" هى نظرية فيزيائية ترمى إلى تفسير وجود جزيئيات وقوى أساسية تشكل و تتحكم بهذا الكون على النسبية العامة التى تفسر خصائص الكون بينما تفسر نظرية "الكوانتوم" خصائص الكون فى شمولية الوضع على أساس ما نعلمه وتهمل المجهول ..

أسطورة "كوكاتريس"

لكل بلد فى العالم كائناتها الأسطورية .. تلك التى يزعم الأجداد أنها كانت موجودة فى يوم ما

ففى أوربا القديمة كانوا يقولون .. أنه فى زمن قديم كان يعيش .. كائن أسطورى رهيب يدعى "كوكاتريس" أو "بازيليك"

وهو كائن أسطورى يجمع بين ملامح الديك وملامح الثعبان .. وتحكى الأسطورة أن ثعبانا أخذ بيضة دجاجة ورقدعليها وعندما فقست البيضة خرج منها هذا المخلوق العجيب

وأن "كوكاتريس" يستطيع التحليق فى الفضاء بسهولة وعلى الرغم من صغر حجمه فهو يستطيع قتل مساحات من النباتات بواسطة أنفاسه النارية ونظراته التى تقتل الكائنات الحية

وهو يعتبر ملك الثعابين .. لكنه لا يتمتع بهذا الملك إذ يموت بمجرد سماعه لصوت الديك ..

ولهذا فهو يعيش في الصحراء .. وهناك أسطورة تحكى أن "كوكاتريس" مات عندما نظر يوما إلى ماء النهر وشاهد فى صفحته وجهه البشع ... شائعة ولكل شائعة أساس من الصحة ....

المؤلف

" زای "

نحن الآن فى منتصف عام ١٩٢٠ كانت الشابة الأمريكية "هيلين" ذات الجذورالمصرية برفقة والديها فى محافظة "السويس"

تلك الأسرة المغتربة كانت فى زيارة لأقاربهم الذين يعيشون فى منطقة سكنية صغيرة بالقرب من الجبال الواقعة جنوبى غرب السويس .. ذلك الجبل التاريخى ... المسمى جبل "عتاقة"

لم تمتثل الفتاة للمحاذير المتعارف عليها فقد ذهبت لتستكشف الكهوف ومداخل تلك المناجم المنتشرة فى المنطقة فحظيت باكتشاف مذهل .. كان يقبع فى الأرض فى الجانب الخلفي للنفق داخل المنجم القديم المهجور

حيث عثرت على هيكل عظمي بشرى كامل وبقربه عظام يد بارزة من التراب لكنها مشوهة وبروح لم تخل من الشجاعة دأبت تزيل التراب وتحفر حول اليد ..

إلى أن إكتشفت قبراً كان قريبا من السطح يحتوى على بقايا مخلوق أصغر حجماً من الإنسان

والمثير أن جمجمته مشوهة أيضا كما هى يده .. ثم وجدت هيكل عظمى وجمجمة أخرى كان الشيء المشترك بينهما بعض الكتابات المحفورة عليهما بلغة أثرية غير معروفة .....

أخذت كلتا الجمجمتين وإصطحبتهما معها إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث إحتفظت بهما كتذكار

وربما يكون ما جعلها تحتفظ بالعظام أن كانت كما أوردنا تحمل ما يشبه النقش .. جعلها تظهر كأثر له أهمية ..

لكنها فى النهاية مجرد بقايا ادمية .. وإن كانت ذات مقاسات غريبة بعض الشئ .. وبالطبع أخفت الفتاة تحفتها الغريبة عن الجميع

وساعدها نفوذ والدها الدبلوماسى فى إصطحاب العظام إلى خارج البلاد ... حيث لا زالت الاتفاقيات الدولية تحرم على السلطات تفتيش متاع الدبلوماسيين ..

لكن ما حدث بعد ذلك كان غريبا .. فقد ماتت "هيلين" وأفراد اسرتها أجمعين بعد ثلاث سنوات من عودتهم إلى مستقرهم فى ولاية " جورجيا " بالولايات المتحدة الامريكية .....

وذلك أن سقطت بهم طائرتهم المروحية هناك وسط الأحراش .. حينما كانوا فى رحلة خلوية

وقد عثر على جثثهم وقد إنتزع من كل بعض الأعضاء كاملة .. وعللت الشرطة هذا بأنه قد يكون بفعل جماعات وثنية تقوم بطقوس أكل أجزاء معينة من لحم البشر .. إذ أن الجثث لم تتعرض للنهش .. فيعولون ذلك لفعل الذئاب أو الحيوانات الضارية ..

إنتقلت تركة العائلة ومقتنياتها إلى ...."بريجيز ويل" أقرب الأقارب من جهة أم "هيلين"... وبالطبع كانت العظام الغريبة ضمن المقتنيات فى الصندوق الخاص بحاجيات "هيلين"

ولم تمض سنة حتى عثر على"بريجيز ويل" مقتولا ومقطع الأوصال فى أحد شوارع الولاية الخلفية ... وقيد الحادث ضد مجهول .. فلم يكن للرجل أعداء بالمرة

ولنعد إلى محافظه السويس التى تتكون من ٥ أحياء رئيسية ..حى السويس وهو أقدم الأحياء وتتركز فيه معظم المبانى الحكومية ويوجد به ميناء السويس .. وحى الأربعين أكثر الأحياء كثافة سكانية .. وحى فيصل الذى يعتبرمن المناطق الجديدة المنفتحة والمتطورة ويضم ضمن نطاقة الأماكن السكينة الجديدة مثل مدينتى السلام والنور ومنطقة عرب المعمل .. ويضم أيضا منطقة الرود الجديدة... وحى الجناين الذى يغلب علية الطابع الريفى لما يتضمنة من مساحات مزروعه وبه نفق الشهيد أحمد حمدى وهو نقطة الوصل بين مصر وسيناء وما يستتبعه ذلك من زيادة المساحة المزروعه بأرض سيناء.

ثم عدة مناطق جديدة مثل السادات والعبور والإيمان التى سميت تكريما للمجاهدة ايمان التى إشتركت في المقاومةالشعبية اثناء العدوان الثلاثى على السويس والتىإشتركت حالها حال الرجال في المقاومة الشعبية فحملت السلاح وقامت بأعمال جليلة وعمليات تدميرلتحصينات العدو

ثم حي عتاقة الذى يمثل التوسع العمرانى والأمتداد الطبيعى للمحافظة ويضم بعض الشركات المهتمة بالتعدين وميناء الأتكه لصيد الأسماك وميناء الأدبية للشحن والتفريغ

عتاقة هذا لم يمتثل للعمران كغيره لوجود الجبل والأرض الصخرية الوعرة .. التى يمتد تاريخها إلى قرون من الزمان ...

وتعتبر السويس من البلاد المصرية ذات الجذب السياحى لما تمتاز به من جمال الطبيعة إذ يحتضنها جبل عتاقة من الغرب وخليج السويس وفنار أبو الدرج من الجنوب وقناة السويس من الشرق والبحيرات من الشمال

هى أرض بكر .. خاوية بالنسبة لزمننا لكن ماضيها له أسراره .. ففى عصور سحيقة سكنها من كانوا أشد منا علما وحضارة .... لكنهم كانوا غير بشريين .... هذا ما يشاع عنها .....

وتروى الأساطير أن مجتمعاً حضارياً كان قد اقام هنا على الجبل .. وكانوا قد اتوا من السماء ثم إختفوا .. ولا يعلم أحد كيف جاءوا ولا كيف اختفوا

لم يكن ل"بريجيز ويل" الذى إستلم تركة "هيلين" كآخر فرد فى العائلة .. والذى وجد مقتولاً ومنزوع الأوصال عائلة بالمعنى المفهوم ..

كان سكيراً ذا علاقات نسائية عديدة .. لذا لم توجد له ورثة خاصة وأن ما تركه كان يسيرا لا يحفز على الطمع

لذا آلت المخلفات الى أحد أصحابه ويدعى "تشارلز" الذى فتحها وتعجب لرؤية الهيكل العظمى وكان مصير الهيكل صندوق القمامة ..

بعد ذلك وجد "تشارلز" مشنوقا على أحد الأشجار .. ومقطوع اللسان .. والقدمين لذلك عزى المحققون انه قد تعرض الى عمل إنتقامى .. وتمثيل بجثته .

خصوصا ان "تشارلز" كان مشهورا بفصاحة اللسان وكان له قدمين كبيرتين ... مشهورتين أيام كان يلعب بنادى البلدية لكرة القدم ... فكان هذا يميزه

ثم إنتقلت العظام إلى رجل أمريكى إشتراهم من مزاد بعد موت "هيلين" بما يقرب من عشر سنوات .. ويبدو أن واحدا من ناكشى القمامة باع الهيكل إلى تاجر بسوق الخردة والأنتيكات

إحتفظ الأمريكى هذا بالهيكل لمدة خمس سنوات ولم يكن يعرف ماذا يفعل بهم مفترضا أن إحدى الجمجمتين مشوهة بشكل طبيعى ..

لكنه كان قد ترك العظام فى شقته طيلة الخمس سنوات نظراً لإعارته للعمل بخارج بلاده ....

وفى اليوم الذى عاد فيه الى منزله ... تهدم البيت فوق رأسه لسبب غير معلوم ...

انتقلت ملكية العظام من ذلك الرجل إلى زوجين شابين هما "راى" و"ميلان" من ولاية تكساس كانا قد أظهرا بهم إهتمام ما ..

كانت "ميلان" ممرضة تشرف على عمليات العظام لعدد من السنوات ومن المألوف لها معرفة جميع أنواع التشوهات البشرية

ومن الواضح أن الجمجمة كانت متناظرة بدقة وبشكل يدعو للملاحظة بالمقارنة مع جماجم البشر الطبيعية لكنها أخف نسبياً من حيث الوزن بالمقارنة مع مثيلاتها من الجماجم البشرية المشوهة النموذجية

وبالإضافة إلى خبرة "ميلان" كممرضة كانت هى وزوجها أعضاء فى "إيلياسو ميوفون" أو شبكة دراسة ظاهرة الأطباق الطائرة ..

وبعد الفحص الدقيق إتضح أن ملامح الجمجمة وخصائصها الشكلية تتفق مع الخصائص التى رويت عن المخلوقات الفضائية ذات الأجساد الرمادية والتى رواها أناس زعموا أنهم شاهدوها

فصمم كلاهما على إخضاع الجمجمة للفحص العلمى الدقيق وتحديد أصلها الوراثى ولكن مع ذلك كانت لديهم بعض الشكوك من أنها قد تكون فعلا تشوهات عادية

وللتأكد من ذلك إتصلوا بـ "جو نيكلسون " الباحث فى أصول الإنسان والذى لديه إصدارات كتب عديدة فى ذلك الشأن

وعند مقارنة الجمجمة البشرية للأنسان العادى مع تلك الجماجم الغريبة إتضح أنها بعيدة أن تكون شكل من أشكال التشوه .. ولكن قد تكون شيء موروث عن الوالدين ...

وبتحليل الحمض النووى d n a وكلنا يعلم أن مورثاتنا محفوظة كشفرة ثابتة فى ذلك الحمض النووى

برهنت نتائج التحليل الأولية على أن أم ذلك الطفل صاحب الجمجمة الغريبة هى من البشر ولكن أباه قد يكون من غير البشر إلى درجة ما مع تقارب الصفات الفسيولوجية التى تتيح إندماج التزاوج .. إلا أن الدليل لم يصل إلى الدقة المقبول بها علمياً لكى يتأكد صنف الأب ... أو أن هذه الرفات تخص إنسان عاش فى حقبة زمنية غابرة ... تلت لإنسان "نياندير تال" أحد أنواع جنس "هومو" الذى عاش فى العصر الطباشيرى منذ حوالى ٣٥٠,٠٠٠ سنة مضت

تلك الحقبة الزمنية التى تعددت فيها فصائل الإنسان نتيجة عدم ثبات البلازما المكونة للخلايا وإنقرض فيها كثير من أصناف حيوات لا نعرف عنها إلا القليل ..

فى جميع الأحوال والتخمينات .. هم تحت وطأة مخلوق غير معروف نوعه على وجه التحديد إلا أنه شبيه جداً بالإنسان أو على الأقل ينتمى إلى إحدى فصائله ..

كان هذا هو رأى بعثة العلماء هناك .. وقد سعدوا لوجود هذه الحفرية الفريدة بين أيديهم ..

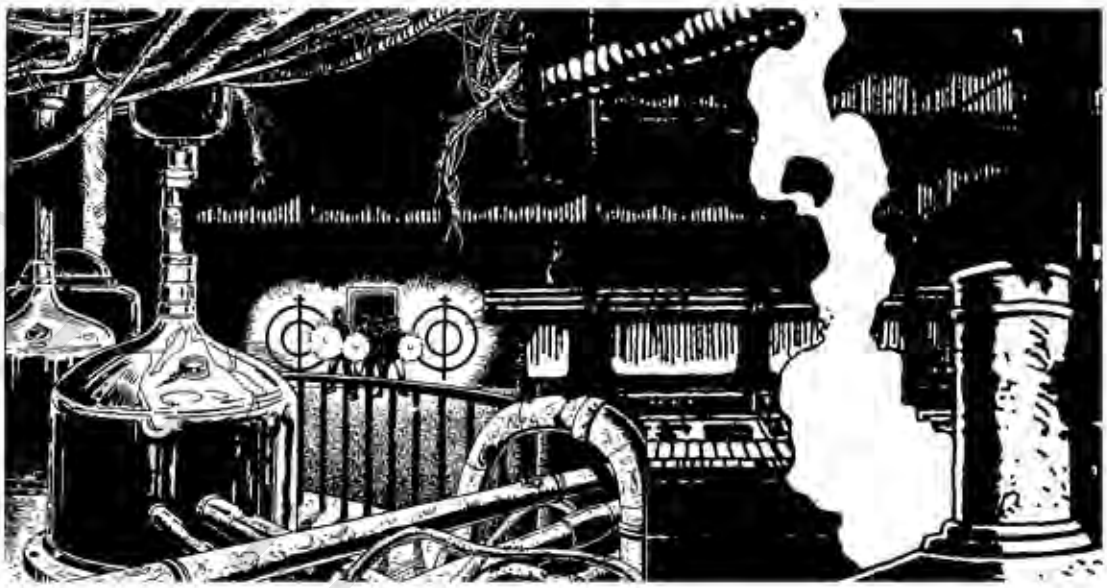

ولحسن الحظ إستطاع الباحث إستخدام تقنية جديدة تم تطويرها فى الأيام الأخيرة وكانت خاصة بالتحليل الشامل للجينوم الوراثى المسمى ب "الخريطة الوراثية"وهى دراسة معقدة القواعد

وينتهي هذا التحليل إلى تأكيد المعلومة ويزيل أى شك حول أن الجمجمتين هما فعلاً لمخلوقين هجين ناتج من إنسان ومخلوق فضائى ! أو من نتاج مخلوقات فضائية قريبة الشبه بالبشر لكنها مختلفة عنهم .

كل هذا إلى الآن لم يكن غريباً ... الغريب كان فى دراسة تاريخ كل من إقتنى العظام .. فقد مات جميع من إقتنى العظام ميتة بشعة .. غير مؤكدة السبب .. ثم فقدان بعض أعضاءه التى إجتُثت بدون نهش ..

الأغرب أن تحاليل الدى إن ايه أثبتت أن الجمجمتين لمخلوق واحد أو ربما لتوأم ملتصق .. ذابت أعضاءه مع بعضها البعض وفقد منها ما فقد نظرا لقدم زمن وجودها .. وإلى هنا بقيت القضية معلقة مغلفة بالألغاز ..

ونعود إلى الجهة التى وجدت فيها الرفات ... قرب جبل عتاقة بالسويس .. وفى أقرب القرى إلى منطقة الحدث .. حيث تسكن "هاجر" الباحثة فى علم التداوى بالتعديلات الجينية .. إحدى صور الوراثة الهندسية حيث يتم إحلال الجينات بأخرى وتعديل عمل الإنزيمات والبروتينات المعقدة داخل الأجساد الحية طمعا فى ايجاد علاج دوائى للسرطان

ويحمل هذا النوع من العلاج فى طياته إمكانية إحداث طفرات هائلة غير محسوبة النتائج ... نظرا لتعقد التركيبات الطبيعية وتداخلات الكيمياء العضوية ذات التفاعلات غير المنتهية ..

وهذا العلاج ولو كان يبعث على التفاؤل لكنه عملياً من الصعب تنفيذه لأنه يتكون من مجموعة من الأنشطة المعقدة .. ولم ينجح إلى الآن إلا فى قشور الحالات ..

تأبّط النهار فلول الليل الأخيرة و بدأ فى نثر جدائل الضوء ليزيح فحامة السواد عن القرية البائسة ذات النفوس المتشحة بالتطاحن والكلل و بقايا دموع المهزومين

صرير الرياح المميت يشق سكون الفجر .. تئن جدران البيوت و كأنها تتلوا لحناً جنائزياً لتأبين جديد .. الجميع هنا لبعضهم كارهون .. أضناهم الكيد لأنفسهم والآخرين .. سعداء بما يصيب غيرهم من نكبات .. حزانى على بصيص الفرح لو دنا منهم .. السحر والحسد والضغينة أصبح سمة الناس الغالبة هنا .. الكره والبغضاء والموت سرق الجميع

هذا هو حال القرية الذى آل إليها منذ زمن ليس بقليل .. الود إن ظهر كان زائفا أما الكراهية فمتأصلة راسخة

حين عاد "الحاج فتحى" إلى بيته كانت الشمس قد بدأت ترسل أشعتها الأولى لتغير شكل القرية التى لبست عباءة رمادية منذ يومين تقريبا .

فبعد ظهر السبت الماضى هبت عاصفة قوية لم ير ولم يسمع أحد عن مثلها من قبل .. غابت الشمس وإختفت خلف جبل كبير صخوره من السحاب ..

الجميع مستغرقون فى النوم فلم يستطع أحد سوى "الحاج فتحى" أن يلاحظ أن هذه الأشعة التى بدأت الشمس فى بثها .. لكنها ليست هى الأشعة نفسها التى إعتادها الناس

والحاج "فتحى" رجل مسن غريب الطوية .. لم يعد يسأله الناس لماذا ؟ .. فقدإعتادوا غرابة تصرفاته وسكونه الدائم .. وتجوله طيلة الليل فى القرية وحيدا .. كثيرون يلجأون له لكتابة الأعمال ..

دخل غرفة المكتبة وأخرج كتاب الظواهر المستحيلة الذىكان يقول كذباً أنه ورثه عن أباه الأستاذ "عاكف" مدرس الطبيعة المتوفى منذ ثلاثين عاما ..

أخذ كتابه وجلس قرب النافذة .. المسطحة للبيت العتيق .... فتحت السلحفاة القابعة على الشباك أعينها فقد أحست بمجيئه ...

تلك السلحفاة "عيشة" التى فقست بيضتها وخرجت إلى الدنيا يوم ولادته لهذا هو يرى فيها أختا له .. لأنها ولدت في اليوم الذي ولد فيه .. وسنهما الآن قارب الستين .

كان عليه قبل أن يبدأ القراءة أن يوقظ إبنته "هاجر"حتى تعرف أن الشمس قد عادت إلى الظهور بعد يومين من الغياب ... والذى بدأته عندما أحضرت "هاجر" اللفافة الغريبة الى البيت ....

لكنه تذكر أن اليوم يوم العطلة الأسبوعية .. فأرجأ إيقاظها قليلا ..

لأن "هاجر" نامت ليلتها فى غرفتها يملأ قلبها الرعب من ظهور السحابة الرمادية الغريبة التى حجبت الشمس

قال الناس أنها من علامات قيام الساعة إذ أن الشمس إمتنعت عن السطوع وتراخت خلف السحاب الكثيف يومان

ولم يكن من الممكن تحديد مكان الشروق .. أمن جهة الشرق أم أنه .. والعياذ بالله من الغرب

لكن الشيخ فضل ألا يثير فزعها مرة أخرى فقد كان لون أشعة الشمس غريب جداً اليوم ....

قلب صفحات الكتاب بهدوء واضعا السواك بين شفتيه وحين رفع عينيه إلى الجدار المقابل له كان لون الجدار أحمر مثل لون الدم ..

جال ببصره على كل الأشياء ..... فشعر بالخوف للمرة الأولى فى حياته ... لقد صبغ شعاع الشمس كل الأشياء باللون الأحمر القانى .... للحظات

نهض من مكانه فزعا ... وفتح الباب وخرج من البيت لينظر الطرقات الخالية تمتد أمامه قد نبتت لها أذرع وأيدى لها مخالب من الدخان تعانق السحاب فى إتجاه قرص الشمس الملتهب كانها تلتمس منها طقوساً وثنية ....

إستمر هذا الوضع ثوان معدودات ثم عاد كل شئ لطبيعته مرة أخرى ..

أضمر فى نفسه ألا يحادث أحداً فى الأمر ... لا يريد أن يتهمه أحد بالجنون .. وكفاه إزدراء بعض القرويين الجهلة له .. هو يعلم ما لا يعلمون .. والجهلاء تأخذهم العزة بالجهل وليذهبوا إلى الجحيم بجهلهم ..

لكن الحاج " فتحى" على علمه بحدوث خطب مشار عنه فى الكتب الصفراء التى يقتنيها لم يكن ليفطن إلى أن ما حدث .. إنما كان بسبب اللفافة التى أحضرتها معها إبنته "هاجر" منذ يومين

العجيب أن أحداً غير الحاج "فتحى" لم ير ما رآه .. ولم يتحدث أحد فى القرية عن شىء كهذا

كان يشعر أن ماحدث شاهده قد مر به سابقا .. شعر ايضاً أنه قد رأى تلك الأيدى الدخانية ذات المخالب من قبل .. رغم شكلها العجيب

إختلط عليه الأمر .. أكان مارآه من الغيب .. أم من المستقبل وسوف يشاهده بعد .. اذ أن كل انسان وله زمنه الخاص به ..... ذلك بالنسبة لخفايا النفس البشريه وأختراقها لحاجب الزمن تحت ظروف تحكم القوى الخفية ..

كان الشيخ ضالعاً بتلك الأمور الغيبية البالغة التعقيد وعايشها لسنين طويلة ..

و"هاجر" فتاة نشيطة تعمل فى مجال البحث العلمى .. زاملت"جو نيكلسون " الباحث في أصول الإنسان وتتلمذت على يديه ... وكانت قد أخذت العظام بعد أن مات ذلك الأستاذ .. محترقا فى معمله .. وبذلك انضم الى قائمة من تعاملوا مع الهيكل المشئوم ....

كان ل"هاجر" براعة فى التعامل مع الحفريات ربما اثارها ما هو موجود داخل اللفافة .. كما كان لمكان سكنها الى جوار جبل عتاقة أيضا أثره ..

لكن دعونا لا نتعجل الاستنتاجات .. فسوف تظهر الأحداث ما يعجز الخيال عن ايجاده

كانت يدا "هاجر" سريعة الحركة مرنة كأنها أكف من هلام رقيق .. تحمل القلم اوقطعة الطباشير بين إبهامها وسبابتها لتكتب المعادلات على السبورة أو بالقلم على الورق نتائجها البحثية فتبدو كأنها تحمل قلم أحمر الشفاه .. رغم ان بحوثها هذه تحمل تلاعباً خطيرا بالجينات والخلايا

فالعلم وإن كان منجيا مرة .. فهو قاتل مرات .. خاصة فى مراحل البحث الأولى ..

كانت أكفها الناعمة تربت على حيوانات تجاربها قبل أن تخدرهم إستعدادا للموت .. باختصار كانت الأنثى "هاجر" قوية ناعمة

ركن الحاج "فتحى"رأسه إلى ضلفة الشباك المفتوح ولطشه النسيم ودفء الشمس .. غفته سنة الكرى .. نام وحلم .

رأى فيما يراه النائم .. قفص طيور مغردة .. رأى نفسه يفتح القفص ويطلق العصافير كلها جاءت السلحفاة "عيشة" فوبختة وعضته بفمها المنقارى لقيامه بهذا العمل الشنيع .. فتحول إلىعصفور صغير .. صدمت السلحفاة الناقذة بصدفتها ففتحت وهنا حلق عالياً ثم حط على الشجرة أمام البيت وبدأ يغنى .

لكن صياداً جاء وأطلق عليه النار فقتله .... مجرد حلم عادى ... لم يكن فيه غرابة إلا مظهر الصياد .... فقد كان ذا رأسين

إنتفض الحاج "فتحى" من غفوته .. فقد كانت عينا الصياد تحملقان به .. شذرا ..

إبتسم وحمد أنه كان مجرد حلم .. ومضى يقلب فى صفحات الكتاب الصفراء ..

كان الكتاب مزيج من العلوم والسحر .. كما هى سمة الكتب التى كتبت منذ قرنين من الزمان

قرأ فى الكتاب ضمن عباراته العجيبة .. كلام عام لكنه يحوى معنى .. قرأ :

"أيها البشرالغافلون ستكتشفون علوم و معارف عظيمة أفضل كثيرا من الذهب و المجوهرات و التماثيل الملقاة بمقابر الفراعين لا نفع منها أكثر من ضررها "..

واستمر يقرأ :

"أما فى مدينة المتجولين التى فى أعماق الأرض والبحار فستجدون السلام و الحب متوازيين مع العلم و العمل .... هذا لو تخطيتم حاجز الخوف و توهم العداء منهم ..

قد يكون الموت خير من الحياة .. فلم يعد واحد من الأموات ليخبرنا بكينونة الموت .."

ظل يقلب الأوراق الصفراء يبحث عن تغير للطقس يشبه ما رآه .. حتى وجد تحت عنوان لعنة "موتسيا" كلام قريب ..

عدل العجوز فتحى من جلسته على الأريكة الأستانبولى وإرتكز بمرفق ذراعه إلى تندة الشباك إلى جواره وسمح ليده أن تداعب رأس سلحفاته العريقة ..

ترك لعقله العنان فإذا به يعيده إل زكريات ماض لا يحب أن يتذكره .. وحيدته هاجر .. الجميلة التى لم يتقدم أحد ليخطب ودها .... ولن يتقدم .. فالجميع يعرفون حكايتها ..

تذكرها طفلة عمرها ثلاثة أشهر وكان من ينظر اليها يتعجب كل العجب فكل شيء فيها متصلب جامد لا حراك فيه ما عدا رقبتها و الرأس .. فالذراعان ممتدان و الركبتان لا تنثنيان و من يحملها من أى جزء فى جسدها ترتفع معه مثل قطعة الخشب

وبينما تحملها والدتها بحنان و إشفاق .. تنهمر دموعها التى لا تجف إلا نادراً .. تحس أنها السبب .. فقد سقطت اثناء حملها في بيت الخلاء و لذلك ولدت الطفلة الطفلة هكذا

حارا بها عند الأطباء الذين إختلفوا فى تشخيص الحالة دون الوصول إلى نتيجة و قد أدركت الأم أن أصابها جان عندما سقطت فى الحمام .... ذلك أن أكثرهم يفضل التواجد فى الأماكن الخبيثة .

وينطلق لسان حاله ليقول ماذا عساه أن يفعل لابنته الصغيرة و لم يشعر بنفسه إلا و دموعه تنهمر من عينيه حزنا على هذه الطفلة و شفتاه تتمتمان
" هذا قدر العائلة كلها .. أن يمسسها الجان " كانت هذه هى الحالة الأولى التى يستعين فيها بالجن فقد كان بينهما عهد كما سنعلم آنفاً ..

إستعد لهم إستعدادهم .. قبات لياليه صائماً عن الزاد إلا بزيت طيب كما أمروه وفى الليلة السابعة جاءه المنام المرتقب .. وفيه كلمات يقرأها على الطفلة هاجر عند لواح الصباح وفى أول بادرة للمساء

لاحظ أن ايماءات الطفلة تنذر أن بداخلها شيء يتملص ويتوق إلى الخروج .. و بعد انتهاء كلماته أعطى لأمها ماء مقروءا عليه و زيتا و طلب منها أن أن تتجرعه دفعة واحدة كما أمر

ساعتها حدث شيء لم يكن فى البال .. تحركت أطراف الطفلة والقدمان و الذراعان حركة طبيعية و كان شيئا لم يكن . و كاد الرجل يطير من الفرح

نظر إلى الطفلة الراقدة في حجر أمها وهو يقوم بقراءة الكلمات مخاطبا الجني الذى يتلبسها فاذا بالطفلة تهز راسها يمينا و يسارا و كأنها تقول كلمة النفى "لا..لا.." فايقن أن ما كان يتوقعه صحيحا .. وإستمر شاحذا كل همته .. يقرأ خزعبلاته و بضربها على يدها ضرباً خفيفاً فيسمع صوت نحيب غريب لم يكن عقب الضربة مباشرة و لكن بعدها بلحظات فقام بزجرها أى ذلك الجنى الموجود فيها أمرا إياه بالخروج .. لكن الطفلة كانت تفتح عينيها بعد كل أمر و تهز رأسها بالنفى و كأنها تريد أن تتكلم حتى صرخت وتحركت حركة طبيعية فى حجر أمها

فرح الرجل بشفاء إبنته وأمسك بكتفى زوجته يهنئها .. لكنها لم ترد .... فقد ماتت الأم لتوها

لعنة "موتسيا" وذلك ان كانتا تحدى قومه الأشداء وأحب أنسية من البشر فحكم عليه بالمكوث بينهم الى ابد الدهر ..

وقومه هؤلاء من أشد المعادين للبشر .. وتصحب تنقلات الكائن المدعو "زاى" تغير فى لون الشمس على المنطقة التى يعاود الظهور فيها مولودا بعد موت إذ تمر من خلال روحه الآثمة

ثم كان بالكتاب مجموعة من الخزعبلات التى إشتهرت فى تلك الحقبة الزمنية التى كتب فيها

توجس الحاج "فتحى" أن تكون روح " زاى" هذا فى المنطقة المحيطة لكنه لم يكن ليتصور ابدا .. أن" زاى"فى حجرة إبنته "هاجر"

وأن اللفافة التى اتت بها من عملها لم تكن تحتوى الا على عظام الوحش" زاى" الذى ينبثق من العدم كل حين

الساعة قد قاربت الثانية عشر .. وأصبح الوقت يربوالى المساء منه الى الصباح .. قام الرجل من مجلسه ففتح حجرة إبنته ليوقظها فليس من عادتها التأخرفى النوم حتى فى أيام العطلات

تهيأ لناظريه أن اللفافة الموضوعة على مكتبها قد إهتزت .. ولم يلق بالاً للأمر .. فلا يمكن ان يحدث هذا طبيعيا وعوله إلى إرتطام الباب بالجدار .. أو أنه قد تخيل حدوث هذا ..

هز ابنته هزة خفيفة .. ولم تستيقظ ... هزها مرة أخرى ثم كررها بعنف .... كان جسدها هادى أكثر مما ينبغى .. لكن الإبنة إستيقظت .. وتثاءبت قائلة ... كنت أحلم يا أبتاه ..

اللوعة التى قالت بها البنت كلمتها .. أفشت مكنونا لديها ...

افتر فاه عن ابتسامة بلهاء .. ضحك الوالد المحنك .. فهو يعلم معنى هذا ... لقد كانت تحلم أحلام الفتيات فى سنها ..

لا شك انه فارس الأحلام على حصانه الأبيض .. ولا شك أنه اوقظها قبل ختام اللقاء .. بالقبلة

ما اسعده من فارس ... يجول فى أحلام المراهقات من قديم الأزل .. لا يستثنى منهن بتتاً ...

عادت الشمس إلى طبيعتها الرتيبة توازر كسل يوم العطلة الأسبوعية الحبيب لكل ذا عمل .. وتلبست القرية لباس الخمول .. لازالت شوارعها الضيقة خاوية من البشر الا القليل منهم ..

فرن الخبز وبائع القول والطعمية فقط من لا يعترفون بذلك اليوم فى تقويمهم الخاص .. أما البقية .. فينعمون بالكسل اللذيذ .. حتى الفلاحين إتخذوا ذلك اليوم عيداً أسبوعيا ..... على شاكلة اهل المدن ..

لم تكن الليلة الفائتة ككل الليلات .. ولم يكن الأمر غريباً فقط بل أكثر من مرعب .. الأعجب أن أهالى القرية لا يتحدثون فى هذا .. وهم الذين يصنعون من الحبة قبة .. كانوا كالمنومين مغناطيسيا

سمعوا أصوات الغربان تقترب وكانت اصواتها البشعه بذالك النعيق تتجاوب بين قمم جبل عتاقة دلالة على كثرة عددهم ..

ماالذى يحدث بالضبط فى هذا الجبل .. ماهذه الأحداث الغريبه .. كانت أفكارغريبه تدور فى رأس هاجر بسرعة البرق

أصوات الغربان تنبئ بحدوث حدث غير عادى ..

هذه الجلبه اللتى تحدث لم تحدث من قبل .. هى شىء غير مألوف .. شئ يبعث إحساس قميىء فى أعماق النفوس ... فى ذالك الجزء المظلم من الذاكره .. لم يكن الصوت مجرد صوت ... انه ينفذ من الأذن إلى العقل مباشرة فيمخر فيه ... حتى لو سدت الأذان بالأيدى ..

إصدمت الغربان بنافذة حجرة "هاجر" بالذات عدة مرات .. وكأن هنا هدفها .. ظنت "هاجر" أن الغربان تصطدم بالنوافذ الأخرى أيضا .. لكنه كان حدثا خاصا ..

نامت ليلتها .. ولم تربط بين السحابة الرمادية الغريبة التى غطت القرية ونعيق الغربان ... ولفتها التى تحوى العظام الأثرية ..

وتبقى تلك الرفات الغريبة التى وصلت إلى غرفة "هاجر" بعد سلسلة من المآسى التى حدثت لمن إقتنوها .. الفارق الوحيد أنهم أخذوها من السويس .. أما الآن فقد عادت إلى مستقرها

وربما كانت القاعدة العامة أن تسعى الحياة صوب الموت .. لكن الموت أبداً لا يسعى صوب الحياة .. هذا بالنسبة لما هو محسوس فى الحياة الأولى التى نعيشها .. اللهم إلا فى حالتنا هذه

وعلاقة الحي بالميت هي علاقة تتم على أسس وقواعد ... فالحى يعطى الميت بتغسيله وتكفينه وتشييعه ودفنه والدعاء له ... أما الميت فلا يعطى شيئاً .. فهو منعدم الحيلة .. لكن المعتقدات الروحانية تؤكد أن الميت يسمع ويعى رغم زوال عقله ..... ولا يتدخل فى أحداث الدنيا التى إنتقل منها .. إما لعدم قدرته .. أو لإنعدام رغبته .. لا نعرف .. فلم يحدث وأن عاد أحدهم إلينا ليخبرنا .. وعلاقة الجسد والنفس والروح بالموكلون والأكوان الأخرى علاقات بالغة التعقيد لا إسناد فيها ولا سند .. لذا لا ينبغى الخوض فيها .. لكن من الممكن الخوض فى الظواهر المصاحبة التى حكى عنها .. أو حضرها البعض .. وليعطى كل تفسيره حسبما يرى ..

والعظام هى آخر ما يبلى من الجسد .. وتحمل جينات ومكونات وأسرار تدل على صاحبها ولو مرت منات الأعوام ... ويقال أن أول ما يبلى هو البطن .. وآخره الجمجمة .. ويقولون العصعص وهو نهاية العمود الفقرى يبقى أبداً ويكون صغيراً جداً فى حجم حبة القمح .. وهنالك خلية واحدة لا تبلى كما يبلى بقية الجسد .. وإن كان هناك من الشطط العلمى من يقول أنه من الممكن إستثمارها بالإنقسام .. مخرفون .. مجانين .. كفرة .. لكننا لا ننكر بعض المعجزات .. كحالة النعجة "دوللى" التى أنتجوها بالإنقسام وليس التزاوج .. فتم استنساخها في معهد"روزلين" فى جامعة "إدنبرة" فى "أسكتلندا" بإنجلترا ....

ولكن ماكان محيراً هو تحرك هذا الفريق من الغربان فى الليل وهى ليست من الطيور الليليه فذلك شئ غريب كان يثير الرعب فى نفسها .... حاولت أن تخترق جدار الصمت الذى ارتفع أصطنعت ضحكة وأدارت مفتاح المزياع .. لكن صوتا لم يخرج منه .. إزداد قلقها .. فهى تعلم أن الظواهر الكونية الغريبة تشوش على الموجات اللاسلكية القصيرة التى منها موجات الإذاعة

أخرجت زفرة عصبيه زادتها توتر ... فقد سمعت عواءً بعيداً .. هناك ذئاب تجمعت فى الجبل

لابد أنها هى التى أزعجت الغربان أو ربما ثعابين .. كان تحليلاً منطقياً فى أعماقها .. لكنها لم تقتنع به

"القرية هادئة الليلة" تلك الكلمات التى خرجت من فم أبيها بعثت ببعض الطمأنينه فى نفسها وشقت الصمت الذى كان معقوداً .. مشت وأوت إلى سريرها

أنطلق صوت عال من خارج المكان جمد الدماء فى العروق ... صوت بشرى جلى واضح ... لكنه بعيد جداً .. صوت رجل يصرخ وكأنها صرحته الأخيرة .. جاء الصوت من صوب الجبل

غالبت خوفها فما يجرى عليهم يجرى على غيرهم فى القرية كلها وسكنت تحت الغطاء .. لكن النوم لم يأت بعد .. تذكرت الحكايات التى كان يحكيها لها أباها .. حواديت قبل النوم وإبتسمت هازئة .. كم كان خيال الرجل متطرفاً ..
كان يقول فى حكاياته الغريبة لها :
أن لكل عائلة كائن سحرى يمنحها قوته ويخدمها .. وكان التنين هو خادم عائلتنا وكانت تقول فى بلاهة الأطفال : وكيف سيتصل بنا .. فيقول : ستحصلين يوما على بيضة التنين الخاص بك و سوف تفقس البيضة فى ساعتها فور أن تلمسيها ليكون ذلك التنين رفيقك حتى الموت يمنحك قوته .. وسوف تصبحان فرداً واحداً ... وتتساءل هاجر فى رعب : وهل سيرافقنى إلى الأبد .. فيقول : لا سيكون فى عالمه الخاص لكنك تستطيعين أن تنادى عليه فيأتى إليك مهما كان بعيدا فهو جزءً منك وأنت جزءً منه ..

عندما حل أوان عصر اليوم .. كانت بالمنطقة ثلاث سرادقات للعزاء .. مات ثلاثة .. ولم يكن هذا هو الغريب فى الأمر ..

بل أن الغريب .. كان موت الثلاثة فى حوادث لا تتكرركثيرا .. إنفجارأنبوبة الغاز وسقوط من على سطح المنزل .. والأخيرهوى فى بالوعة مفتوحة ..

الثلاثة حوادث نتج عنها كسور وجروح وتشوهات .. لم يلق أحد بالاً لنقص أعضاء من داخل أجسامهم .. فقد أصيب الثلاثة بجروح غائرة بالبطن والصدر والرأس ..

مصادفات قد تحدث .. نعم .. لكن فى لحظة واحدة فلا !!!

فى اليوم الثانى قررت "هاجر" أن تبدأ عملها فى فحص محتويات لفافتها .... فإنتهزت عدم وجود أباها بالبيت .. اذ انه لا يحب رؤية أبحاثها من ذلك النوع .

فكت اللفافة .. وأصابتها الرعدة .. كان الهيكل العظمى قد قام برص أجزاءه فى أماكنها .. .. ووضع بداخلها بعض من أجزاء حية .. بدأت فى الإلتئام بالعظم ....

العيون .. اللسان ..الأنف .. الكلية .. المعدة .. بعض اللحم المتهدل ..... لكن الإلتئام لم يكن كالواقع .. إنما كان أشبه بالذوبان فى العظام ... أو التخلل إلى داخله ... أحست للوهلة الأولى بضرورة التخلص من هذا الشىء الغريب المخيف .. لكن .....

سمعت صوت يحدثها من إتجاه الصوان .. فنظرت لترى طيفاً أسود غير محدد الملامح .. كان هو من يكلمها ....

تمالكت جأشها وأمعنت النظر .. كان الطيف ممثلاً لشكل العظام المرصوصة على المنضدة ..

قال الطيف الأسود : ساعديني لأصنع جسدى وإياك أن تخبرى أحد

بدأ الشبح يتجلى شيئا فشيئا .. فيظهر من العدم .. كائن فظيع يشبه الإنسان لكنه كان مسخا ذا رأسين .. جمجمة تخرج منها أخرى خلفية ..

كان هيكل عظمى ذا عيون مخيفة .. أشبه بعيون النسر!! لكنها رمادية شاحبة اللون .. كأنها تحوى قصة مفجعة ..
ناهيك عن بقايا العظام التى كانت يوم ما جناحين كبيرين .. نعم .. جناحين كأجنحة الوطاويط

حينما نظرت"هاجر"إليه وتأملت خلقته شعرت بالدم يتجمد فى عروقها .. وإنتصب شعرها رعبا

تهدل من جسد المسخ لحم طازج .. أعضاء بترت من أجسام مختلفة كان كل هذا أشبه بصورة مشوشة وليس جسدا حقيقياً ..

فهمت المتخصصة فى دراسة الأحياء .. أن تلك الأعضاء قد إنتُزعت من حديثى الوفاة .. لا شك أنهم من ماتوا من أهل المنطقة اليوم ..

كان على"هاجر" أن تتوخى الحذر .. كل الحذر .. فهى تتعامل مع كائن فظيع لا تعلم كنهه .. أو مداه ..

ومرت أيام .. جمعتهما فيها غرفتها .. لم تخبر حتى والدها بالأمر المريب .. أحضرت للمسخ بعض المحاليل والمواد العضوية التى طلبها .. وقامت بصبها فى الأماكن التى كان يخبرها بها كانت تفهم ما يريده بصعوبة فاللغات مختلفة .. لكن ذلك انشأ ما يشبه العلاقة الودودية بينهما .. فهم يتكلمان كثيرا .... ويحاولان فهم بعضهما

استسلم المخلوق الناقص ليديها .. ثم تطرق الأمر لبعض الأسئلة وتبادل المعلومات .. ووصل إلى حد أن المخلوق كان أحيانا يبتسم .. أو هكذا خيل إليها ..

أفهمته أن ما يقوم به ما هو الا قتل مشين .. ورد باقتضاب :

أنا لا اقتل إلا من يستحقون ..... وبالطبع لم تأخذ كلماته موضع التصديق .. فالقتل قتل .. وهو جريمة لا تغتفر فى أى حالة وتحت أى ظرف .

لكنها تتبعت سيرة أبناء قريتها الثلاث الذين قتلهم المسخ وإستولى على أجزاء من أجسادهم

وهالها أن إكتشفت تاريخهم السىء واشتياههم بجرائم أقل ما توصف بها الخسة والوضاعة.. قتل وإغتصاب وإحداث عاهات بغيرهم ..

الكائن يريد بناء جسمه من أجساد البشر ... لكنه فى هذا يختار ... أجزاء صحيحة .... ومن أشخاص يستحقون الموت ..

دفعها هذا للتأكد من تاريخ كل من إقتنوا الهيكل العظمى ... الواحد قبل الآخر ... وأثناء ذلك عرفت من قصاصات الصحف المحفوظة بمكتبة الأنجلو ساكسون أن "هيلين" فقط هى التى لم ترتكب جرائم اللهم إلا أنها سرقت الهيكل من مكانه الأزلى وسافرت به إلى أمريكا ..

وقرأت فى مدونات استاذها العالم قبل أن يحترق معمله :
كانت هذه ظاهرة من أكثر الظواهر غموضا وتعقيداً وذلك على الرغم من إجماع الباحثين على أنها أحداث حقيقية .. وإن عجزوا تماما عن إيجاد أى تفسير أو حتى نظرية بشأنها وأمر كهذا نادر جدا فى أمور ما وراء الطبيعة

وفى مكتبة "الأنجلو ساكسون" قرأت "هاجر" أيضا ..
فى الثانى عشر من نوفمبر عام ١٩٦٦ بمدينة "بوينت بليزنت" في ولاية غرب"فرجينيا" الأمريكية جرت حادثة غريبة قد لا يصدقها البعض فى البداية لأنها لا تستند إلى أي دليل سوى رواية أحد سكان المدينة وهو "نيويل بارتريدج"

فبينما كان "نيويل" في منزله يشاهد التلفاز فى العاشرة والنصف مساء إنقطع الإرسال بغتة وأصبحت الشاشة معتمة تماما دون سبب واضح .....

وقبل أن يستوعب ما حدث سمع فجأة نباح كلبه الشديد وبشكل يوحى أن هناك شخصا مجهولاً يقترب من المنزل

خرج "نيويل" بمصباح كشافه المنير لإستطلاع الأمرليجد كلبه ينبح بجنون متجهاً ناحية المخزن التابع للمنزل

وعندما وجه الكشاف نحو المخزن رأى شيئا غريباً لا يصدق ....

إذ كان يقف فى جانب مظلم مخلوق لونه رمادى أوأدهم يشبه الإنسان بهيئته الخارجية إلا أنه أكبر حجما .. إذ يصل طوله إلى سبعة أقدام تقريبا وله جناحان كبيران منثنيان خلف ظهره

وساقاه غير واضحتى المعالم وكانت ملامح الوجه غير ظاهرة على الإطلاق سوى شيء واحد هو أشد ما لفت انتباه "نيويل" كان له رأسان .. وكان لذلك المخلوق عيون بالغتا الشراسة فى كل رأس ..

تلك العيون كانت تسلب الإنتباه تماما وتنفذ الى صميم النفس .. تحدق فيه بشكل جمد الدم بعروقه

وكان المخلوق يصدر صوتا غريبا يشبه الأنين أوالنحيب !!.

هذا الأمر إستفز الكلب كثيرا فهجم مطاردا ذلك الشيء حينما هم بالمغادرة غير مبال بصراخ صاحبه الذى كان يطالبه بالعودة

إلا أن "نيويل" التقط أنفاسه ودخل إلى المنزل لإحضار مسدسه .... لكنه وبعد دخوله إلى المنزل تاركا الكلب بالخارج شعر بأنه من الحماقة أن يخرج لمواجهة ذلك المخلوق حتى وإن كان يحمل مسدسا

فقام بغلق الأبواب والنوافذ وبات تلك الليلة والمسدس بيده من شدة الرعب

وفى الصباح فوجئ بأن كلبه قد إختفى تماما ولم يعد بعدها على الإطلاق فشعر بحيرة بالغة مما يجب عمله .. إذ كان واثقا من أن أحدا لن يصدق ما حدث له في تلك الليلة ..

إلا أنه قد صدم تماما عندما قرأ في الجريدة خبرا مفاده أن أكثر من ثمانية أشخاص قد إدعوا مشاهدتهم لذلك المخلوق الغريب فى أماكن متفرقة

فقد شوهد بالقرب من مصنع ومستودع المتفجرات المهجور الموجود بالقرب من المدينة على ضفة النهر!!...

وقد تعرض ذلك المصنع إلى حادث مروع فيما بعد وكان هناك العديد من القتلى ..

وتوالت بعدها المشاهدات بشكل كبير أثار جنون رجال الشرطة الذين لم يهدأ هاتفهم على الإطلاق وجميعهم يشعرون بدهشة بالغة عن تلك الأوصاف العجيبة التى أدلى بها من شاهد ذلك المخلوق

وأشهر تلك المشاهدات حادثة السيدة "بينيت" التى شاهدت ذلك المخلوق عندما نزلت من سيارتها لزيارة منزل أصدقائها أفراد عائلة "توماس"

فقد ظهر لها بشكل مفاجئ وكأنه خرج من جوف الأرض .. الأمر الذى أصابها برعب هائل فركضت ناحية منزل عائلة "توماس" وهي تصرخ بجنون طالبة منهم النجدة ..

كان هناك مخلوق يشبه الإنسان ذا جناحين يقف عند باب المخزن .. ولكن فى حجم أكبر من حجم الرجل العادى كان فى عموم هيئته يشبه بجناحيه حشرة عث عملاقة ..

وفى خلال ذلك العام توالت زيارات عشرات الباحثين والصحفيين لتلك المدينة لكشف سر ما أسموه برجل العث أبرزهم على الإطلاق كان الكاتب الصحفي الشهير"جاك كيبل" الذى تعمق كثيرا فى الظواهر الخارقة وكتب الكثير عنها وان كان غير مصدق لمعظمها

وقد وصل "جاك كيبل" إلى مدينة "بوينت بليزنت" فى ديسمبر عام ١٩٦٦.. وهناك قام بتحريات واسعة وإلتقى بعشرات الناس بعضهم من رجال الشرطة الذين إدعوا مشاهدتهم لذلك المخلوق المسمى "رجل العث"

وتبين له من خلال التقارير أن هناك أيضا مشاهدات كثيرة جدا للأطباق الطائرة فى تلك المدينة بلغ عددها أكثر من خمسمائة حالة مع وجود ظواهر أخرى ليس لها أي تفسير كإنقطاع الإرسال التلفزيونى والإذاعي أو التيار الكهربائى دون أى سبب واضح

بل ووصلت تقارير إلى "جاك كيبل"عن رؤية أشباح فى تلك المدينة .. إذ إدعى الكثيرون أن أبواب منازلهم كانت تغلق وتفتح دون سبب واضح فى حين تسمع أصوات غريبة فى منازل أخرى حتى أن بعض الأسر قد تركت منازلها من شدة الخوف منهم أفراد عائلة "جيمس ليللى" الذين تركوا منزلهم من شدة الخوف

ولم يكن هذا كل شيء فقد أشارت تقارير الشرطة إلى مشاهدات عديدة لأضواء حمراء غريبة للغاية تتحرك بشكل عشوائى فى السماء وبالقرب من مصنع مهجور للمتفجرات يقع على مشارف المدينة .. وأشد ما أثار انتباه "جاك كيبل " هو الشعور العام بالخوف والتوتر الذى كان سائدا بين الأهالى بسبب ما يحدث فى مدينتهم من ظواهر غريبة ليس لها أي تفسير ..

وطوال عام كامل راح " جاك كيبل " يدرس كل التقارير التى جمعها وهو مقتنع تماما أن كل هذه المشاهدات مرتبطة ببعضها بطريقة أو بأخرى إلى أن حدث أمر آخر فقد لوحظ أن عدد مشاهدات "رجل العث" قد انحسرت كثيرا وإنتهت بشكل مفاجئ في عام ١٩٦٧ ولم تعد ترد أى تقارير إلى الشرطة تفيد برؤيته

ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد فبعد أيام قليلة وبالتحديد فى الخامس عشر من ديسمبر من عام ١٩٦٧ حدثت واحدة من أشهر وأغرب الكوارث فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية عندما انهار الجسر الذى يربط بين ولاية "اوهايو" و"بوينت بليزنت" دون أى سبب واضح ومات بتلك الحادثة ستة وأربعون شخصا اثنان منهم لم يتم العثور على جثتيهما على الاطلاق

والغريب أنه قبل إنهيار الجسر شوهدت بالقرب منه أضواء غريبة مجهولة المصدر كانت تتحرك بشكل عشوائي .. وعبثا حاول المهندسين معرفة سبب إنهيار ذلك الجسر إلا أنهم عجزوا عن ذلك تماما وكان الجسر قد انهار بفعل قوة خفية مجهولة!!.

وعندما فتحوا لها الباب شاهدوا جميعا ذلك المخلوق وافقا بهدوء مثير وكأنه لا يبالى بما يحدث فأصيبوا جميعهم بخوف شديد ..... وأغلقوا النوافذ والأبواب وإتصلوا برجال الشرطة الذين عندما حضروا كان ذلك المخلوق قد إختفى تماما ..

وقد أصيبت السيدة "بينيت" بعدها باضطرابات نفسية شديدة من هول ما رأت وخضعت لعلاج نفسي إستمرلعدة شهور ذكر خلالها الطبيب الذى أشرف على علاجها أنها قد مرت بصدمة عنيفة أثرت على حالتها النفسية بشكل كبير جدا.

وخلال عام واحد فقط شوهد ذلك المخلوق مائة مرة تقريبا ومن قبل عشرات الأشخاص وفى حالات كثيرة كانت المشاهدات تتم بوجود مجموعة كبيرة من الناس .

وفى خلال ذلك العام توالت الزيارات من قبل العديد من الباحثين والصحفيين لتلك المدينة لكشف سر المخلوق المريع

كذلك صاحب تلك الظهور تغيرات غريبة فى المناخ العام .. وتكاثف الضباب فى غير موعده وإختلاف لون أشعة الشمس دون سبب يستطيع رجال الأرصاد الجوية قوله ..

وقد قال بعض من شاهدوه عن قرب أنه ليس مخلوق ... بل مخلوقة فهى فى الأغلب أنثى .. لما يتضح من علامات الجسد بينما أكد البعض أنه تكوين رجل مفتول العضلات ..

وقد صدر تقرير مطول ومفصل حفظ فى وكالة "ناسا" لعلوم الفضاء والذى تحدث عن تلك القضية ذاتها بالتفصيل مع ذكر الكثير من الحقائق المتعلقة بها - وكالة ناسا المشهورة باخفاء الحقائق لعدم اثارة الرأى العام - .....

وتبقى حقيقة الأمر برمته معلقا ... فى علم الغيب

وبعد أسبوع من تلك الحادثة تلقت الصحفية "ميرى هاير" زيارة في مكتبها من قبل شخص مجهول له ملامح شبيهة نوعا ما بالملامح الآسيوية وقد كان يتحدث بلهجة غريبة غير أمريكية ولا تشبه أى لهجة معروفة !! وكان متلهفا لمعرفة معلومات عن الأطباق الطائرة ولم يسألها أى سؤال يتعلق بحادثة إنهيارالجسر التى كانت حديث الساعة فى ذلك الوقت ..

ولكن "ميرى" لم تعط ذلك الرجل أى إهتمام لإنشغالها الشديد فى دراسة أسباب حادث إنهيار الجسر .. وإن لم يفتها أن تستغرب من لهجته .. وفى نفس الليلة زار نفس الرجل العشرات من أهل المدينة الذين إدعوا سابقا مشاهدتهم لأطباق طائرة وطلب من كل منهم ما لديهم من معلومات عن الأمر

وكان يدعى أنه صحفياً يسعى لجمع المعلومات المتعلقة بالاطباق الطائرة وبعدها إختفى ذلك الرجل تماما ولم يظهر له أى اثر وقد تراجع كل من قال أنه رأى أطباقا طائرة عن قوله لكنهم ذكروا أن ذلك الشخص المجهول قد زارهم وأنه قد ترك لديهم إنطباعا منفراً وأشعرهم بالخوف

إنتهى بعد ذلك مسلسل الحوادث الغريبة التى حدثت فى "بوينت بليزنت " ولا شك أن هناك أمورا كثيرة جداً لا يوجد لها أى تفسير فما هو "رجل العث" هذا ؟ وما هو سبب تلك الإضاءة الغريبة التى رآها الناس بالقرب من مصنع المتفجرات ؟ ولماذا كثرت مشاهدات الأجسام الطائرة فى تلك المدينة ؟! .. ولماذا كثرت التقارير التى تفيد بوجود أشباح في بعض منازل القرية ؟! ولماذا انقطع التيار الكهربائى فى كثير من الأحيان دون سبب واضح ؟!. ثم لماذا تراجع الاهالى فجأة عن ذكرهم مشاهدات للأجسام الطائرة وكأنها مسحت من ذاكرتهم ... أسئلة كثيرة تبقى حتى يومنا هذا دون إجابة.

كما إتضح من خلال الدراسات أن مشاهدات " رجل العث " هذا قديمة جدا وحدثت قبل ذلك فى أماكن متفرقة من العالم ..... إلا أنها لم تجد طريقها إلى وسائل الإعلام إلا بعد حوادث مدينة "بوينت بليزنت " وإن صاحبها غموض وتشعبات كثيرة ما زالت تحير الباحثين

الأهم من كل ذلك ما لاحظه عدد من الخبراء من أن ظهور "رجل العث " في كثير من الأحيان يكون قبل حدوث كارثة ما يموت على إثرها الكثيرون !! منها ما حدث في " أوكرانيا " التى كانت جزء من " الاتحاد السوفييتى " فى ذلك الوقت عام ١٩٨٦ عندما شوهد "رجل العث " قبل كارثة انفجار مفاعل " تشرنوبل " النووي الشهيرة !! .. كما شوهد أيضا فى "البرازيل" و"إنجلترا" فى فترة السبعينات

أما آخر تلك المشاهدات فقد كانت فى عام ١٩٩٤ عندما تلقى المسؤولون مكالمات إدعى أصحابها أنهم قد شاهدوا ذلك المخلوق فى " ميامى " و" واشنطن " فى "الولايات المتحدة الأمريكية" ولا يعلم أحد إن كانت تلك المشاهدات الأخيرة مجرد إدعاءات فردية أم أنها حقيقية واقعة ...

وقد قامت مدينة السينما "هوليوود " فى عام ٢٠٠٢ بإنتاج فيلم وثائقى يحمل هذا الإسم ... (نبوءات رجل العث) والذى تحدث عن تلك القضية بالتفصيل ... مع ذكر الكثير من الحقائق المتعلقة بهذاالموضوع ...

استوضحت "هاجر" على إستحياء من ذلك المخلوق الذى يشاركها حجرتها ... ما قرأته من أنباء دونتها الصحف يوم ما

قالت : هل كنت أنت هذا ...؟ ... أخفض رأسه وقال : لا ...بل كانت زوجتى ..

قالت: وأين هى الان ؟! ..... رفع رأسه وقال بتحد : لقد قتلتها .. وأشار الى رأسه الثانية .. ثم إستطرد : وهذه الرأس الثانية هى رأسها وهو ما إستطعت الإحتفاظ به ..

تنفس شهيقا دل على آلام كآلام البشر النفسية حين يتنهدون وقالمخاطبا "هاجر" راجياً : أرجوك لا تسألينى ثانية .. فلن أستطيع إفهامك ... قوانيننا غير قوانينكم ..

وإستطرد مرغما فقال كلاماً لم يتناسب مع عدم تمكنه من إتقان اللهجة .. قال : لست واثقاً من وجود روحى فى الحياة .. لكن ثقتى فى أن الانحراف هوأحد نوازع القلوب وأحد الملكات الأصيلة التى توجه سلوكنا فى كل العولم .. أقول أن ما فعلته كان خطأً إجبارياً

والذى لم يضبط نفسه وهو يقترف إثماً أو حماقة قد أساء وإن كان مأموراً .. لا لسبب غير كون هذا العمل محرماً ؟ أليس لدينا ميل دائم للمحرم حتى فى حالات وعينا إلى خرق مايعرف بالمُثل لمجرد أنها مُثل ؟

روح الإنحراف هذه هى التى تتحرك لتدفعنا للسقوط .. رغبة النفس الدفينة لمشاكسة ذاتها وتهشيم طبيعتها بإقتراف الإثم لوجه الإثم ... هذه الرغبة التى لايسبر غورها هى التى حرضتنى على مواصلة الأذى والقتل ..

لم تفهم "هاجر" أكثر معانى الكلمات .. لكنها فهمت أن ذلك المخلوق له فلسفة أعقل مما كانت تظن .. وان كان استخدامه للكلمات عجيبا وكأنه يترجم ترجمة حرفية للغة غير معروفة ...

كم كان المسخ الرهيب يبدو عذبا فى بعض الأحيان .. ظهر لها ذات مرة وكانت تخلع ملابسها فتلعثمت وخجلت وسارعت فغطت نفسها .. ولاحظ ذلك فقال :
أنا آسف .. لكن إعلمى أننا مختلفين وإن تشابهنا ولن يثيرنى فيك ما أشاهد منك .. فكونى على راحتك ..

ثم إستطرد قائلا : ..
صحيح أننا متشابهون لكن لنا أولياتنا .. فلا تكمن الرغبة فى الجسد وحده ... ونحن بعيدون كل البعد عن الرغبات الحيوانية البحتة .. كما أننا ممنوعون من هذا بصرامة شديدة ..

تفوه بكلماته فى ثبات خالجه ما أحسته "هاجر" جليا .. فقد كان المخلوق متألما .. حتى أنه قد خيل إليها .. أن الدموع ستتدفق من عينيه وفى قلبه تضطرم مشاعر الندم على ذنب إقترفه أو خطيئة إرتكبها .. روح خالدة .. ألم خالد .. وهلاك أبدى .. يعيش الفناء ويخطو بلا حياة

قرأت "هاجر" هذا فى عيون مهترئة داخل وجه فى رأس لم يكتمل بعد ... ذلك الرأس الذى بات من الواضح أنه يندمج فى الرأس الآخر وكأنه يسعى لإحتواءه ..

المسخ يساعد جسده فى التكون .. بإحلال أعضاء إلى عظامه فتتشرب بها .. لا يأكل ولا يشرب ولا ينام .. لكن كيف وصل به الحال إلى أن يصبح ذات يوم عظام نخرة ؟؟ ..

خمنت "هاجر" أن ذلك التوقف الحياتى ربما كان حكماً عليه من قوى أعلى نتيجة ذنبه الذى إقترفه ولا يريد الإفصاح عنه .. وكان توقعها جيد إلى حد بعيد .. لكنه ليس الحقيقة كاملة ..

فهى أمام ضيف فُرض من عالم مختلف كل الإختلاف عن عالمنا الذى نعيش فيه .. له أسسه وقوانينه ... ولا تنطبق عليه أى من معاييرنا ..

لم تفهم "هاجر" ..... لكنها صدقته .. فهو فعلاً مختلف .. ليس كاذب .. لكن عبارته كانت منقوصة .. ولا يشعر بها كأنثى إلا لو إكتملت أعضاءه الحسية والعقلية .... حينها سيكون فى هذا الشأن كأى ذكر .. بل قد يزيد .

من الناحية النظرية يبدو الترحال عبر الزمن منطقياً والفكرة فى حد ذاتها قديمة وقد خلّدها فى الذاكرة الشعبية أساطين الخيال .. الفكرة مبنية على نظريات النسبية وقوانين الفيزياء وتفسيرها لطبيعة الكون لكن وضع "زاى" كان مختلفاً .. فهو ليس خلود مطلق بدليل وجوده كعظام ميتة

لم يحس الحاج "فتحى" أى اختلاف فى الحياة يخص بيته .. ذلك الرجل الغامض الذى يعبث فى كتب السحر القديمة التى تعج بطرق الإتصال بالجن والسحر الأسود ..

مضى يقرأ فى كتبه ذات المعلومات الشائكة ويعمد له أهل القرية يستنجدون ويستعينون من وعلى بعضهم البعض .. فهذا يريد ربط هذا على زوجته .. وهذا يريد إثارة الأحقاد ... وهذه تكيد لهذه ..

والحاج "فتحى" ينصاع إليهم جميعاً فيؤلب هذا على ذاك ثم يعود لينتقم من ذاك لحساب هذا

كانت تلك هوايته المفضلة .. وربما إرتزق منها أيضا .... لكن الفائدة الجمة التى كانت تعود عليه حقيقة هى إجبار الناس على إحترامه والخوف منه وتلبية طلباته .. وكان فى هذا غبن كبير للناس ..

فهناك الكثير من الطقوس التي تمارس بين العامة دون محاولة لمعرفة حقيقتها أو كنهها أو مدى موافقتها أومخالفتها للشرع

وإذا كان هناك الكثير من المؤلفات التى تبين أن هذا حلال أو ذاك حرام بالدليل الشرعى فإن تلك المؤلفات قد خلت من الإشارة لأصول وجذور تلك العادات الإجتماعية المتأصلة فى مجتمعاتنا

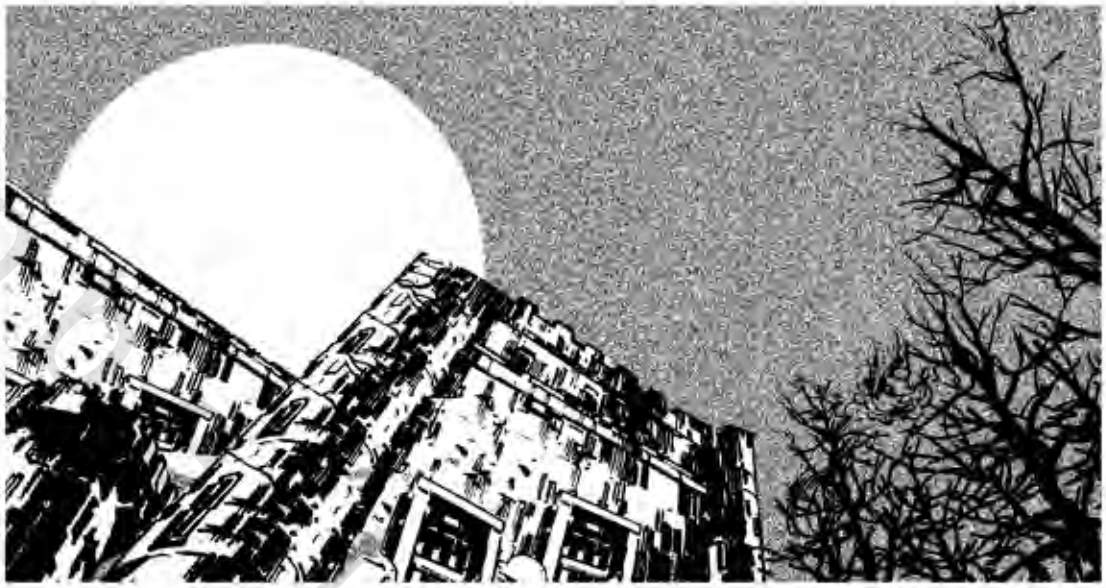

أثبت العلم ان كل شئ فى هذا العالم يتكون من ذرات تشكل جزيئات ومكونة من الكترونات وبروتونات سابحة ومهتزة ... أى أن القانون العام هو إهتزاز الذرة بما فيها وكذلك نعرف جميعاً ان كل إهتزاز يكون ضمن رتبة معينة وضمن موجة معينة

هذا يقودنا إلى أن الكون برمته عبارة عن موجات تختلف فقط فى طول موجاتها وكلما زاد إهتزاز الشئ كلما زاد رقة و إكتسب شفافية كالغازات مثلا ..

وحواسنا البشرية لا تستطيع أن تستوعب إلا مدى معين من الرتب فمثلا حاسة السمع مقيدة بين عتبة السمع وعتبة الألم وتخزن من ٢٠ الى ٢٠٠٠٠ ذبذبة في الثانية

أى أن الاذن البشرية على سبيل المثال لا تدرك إلا أحد عشر سلما ونصف من أصل بلايين السلالم الصوتية واي شيء ذو رتبة أقل أو أعلى لا ندركه

وحقاً الإنسان لا يستوعب إلا قدر يسير من الأحداث الكائنة فقط ... هذه النظرية سمحت للعلماء أن يفترضوا وجود أكوان متداخلة مع بعضها أى يخترق بعضها الآخر دون أن يشعر أحدها بوجود الآخر نظرا لتغاير رتبته فى التردد ...

وهذا ما سمح لعلم ما وراء الطبيعة ان يخرج للأفق .. اوعلم الباراسيكولوجى .. و يعنى علم ماوراء النفس .. أو ماوراء الفيزياء .. مع انه متعلق بشدة بعلوم وثوابت الفيزياء الطبيعية

كحكاية زرقاء اليمامة فى الجاهلية التى قيل أنها كانت تستطيع الرؤية بوضوح على بعد مسيرة ثلاثة أيام .. وقيل أنها رأت علائم غزو متجهة نحو قبيلتها .. فلما حذرتهم سخروا منها ولم يصدقوها فلم يكونوا على علم او يقين بمقدرتها حتى وقعت الواقعة وجاءهم الغزو الذى حذرت منه ... في نظر العلم تعتبر هذه واقعة محتملة الحدوث لامجال للخرافة فيها .. والتاريخ حافل بقصص شبيهة ..

لكنها فى النهاية شر مستطير يطيح بالقيم ويضرب بالإيمان والمثل عرض الحائط ...

تلك الطقوس المرتبطة إرتباطا وثيقا بالكثير من الموروثات الإجتماعية كالخوف من الحسد والسحر والتنبؤ بالمستقبل وغيرها من طقوس الضلال الشعبى

بدأ الحاج " فتحى " نشاطه هذا منذ ما يقرب من ثلاثين سنة .. حينها كان مجنداً فى منطقة العامرية العسكرية .. وكانت وقتها منطقة منعزله فى الصحراء إلى جوار مدينة الأسكندرية

وقتها كان مجند إرسالات ... بمعنى أنه كان يذهب بالمراسلات كل صباح إلى مركز القيادة

فيتم إعطاءه أمرا كتابياً بالأوامر التموينية لهذا اليوم فيذهب مع مندوب المواد الغذائيه فى الجيش بالسياره فى طريق أسمه الطريق الصحى الذى يوصل لمكتب متعهد الإمداد والتموين

هذا ليحصل على بيان الحصص التموينيه لوحدات الجيش ثم يعود بالسياره مع نفس المندوب إلى المركز ..

هذا الطريق الذى كان أسمه الطريق الصحى سمى بهذا لوجود المستشفى فى آخره.

هذا المستشفى كان مدنياً مخصصاً للمدن المجاورة وقتها ... وكانت به المشرحه التى تؤول إليها كل حالات الوفاة من باقى المستشفيات الأصغر .

كبيره كانت هذه المشرحه وكانت تمتلىء بالجثث التى توفى أصحابها فى كل الحوادث البعيدة عن مستشفى الأسكندرية الرئيسى العام .

ولم يكن أحدا يجرؤ على السير فى هذا الطريق ليلاً أبدا .. أولا لأنه طريق مقطوع ... وثانياً وهو الأهم لأنه طريق ملعون .. فقد كان يقال أن أشباح قتلى المشرحه تظهر فيه ليلا .. مجرد شائعات يلوكها القرويين .. لكنها حكايات مخيفة ..

الموتى لا يستيقظون .. إنما ما يرونه هو شياطين الجان التى تتمثل وتخيف وتستدرج خداماً لها .. تلك كانت الحالة التى يؤمن بها كل من بالنطقة ... بناء على روايات ومشاهدات كل من مر بهذا الطريق ليلاً .... منهم من مات موتة شنعاء ومنهم من أصابه مس الجنون ..

ذات يوم .... حدث خطأ فى يوميات التموينات القادمه للكتيبه وأكتشف الأمر من قبل القيادة ليلاً وكانت الأوامر الصادره هى تنبيه متعهد التموينات بقيادة الوحدة الأعلى ..

ونظراً لأن المتعهد يأتى صباحا بسيارته .... فقد كان الحل الوحيد أن يتم إرسال هذا الجندى "فتحى" ليلاً سيراً على الأقدام فى هذا الطريق الطويل الذى يمتد لأكثر من ١٠ كيوامترات .. ليذهب إلى مقرالمتعهد ويسلمه خطاب من قيادة الوحدة العسكرية

وكان يتحتم عليه أن يمر فى هذا الطريق على المشرحة حتى يصل إلى المتعهد ..... وطاعة الأوامر لامفر منها ... لذا تقبل "فتحى" القرار دون مناقشه ...

سمع وقتها همسات بين أصحابه وزملائه القدامى فى الوحده ..... حتى أن أحدهم ودعه قبل الذهاب بشكل غير مفهوم .

المهم أنه ذهب تاركاً قاعدته العسكريه وبدأت أولى خطواته فى الرحله التى كان يشك الكثير من زملائه القدامى أنه سيعود منها سالما ..

خرج "فتحى"من المعسكر ومشى فى الطريق الذى بدت ملامحه مختلفة عما هو فى الصباح لم يكن الطريق مظلم تماما .. لكن أعمدة النور كانت على غير العادة تخفت وتضيئ بلا ضابط وكان وميضها محمراً ..

طمأن نفسه خادعاً بأنه لابد عطل فى مولد الكهرباء الذى يغذى المنطقة .. لكن هذا لم يكن حقيقياً

سمع فى البداية أصوات ذئاب وربما كان هذا معتاداً فى هذه الأجواء الصحراوية .

لكن بعد أن إبتعد عن القاعده بحوالى خمسة كيلومترات بدأ يسمع أصواتاً أغرب لايستطيع أن يحكم عليها ولايعرف مصدرها .. أحيانا كانت تشبه أصوات الرياح الغاضبة وأحيانا مثل همهمة الحيوانات ...

وعندما أقترب من المشرحه التى فى منتصف الطريق إذ به يلمح خيالا بعيدا يقترب منه .... ظن أنه أحد العاملين فى المستشفى ...

لكنه كان خيالا يتحرك بصوره غير معتاده .. مترنحا يقترب منه أكثر وأكثر وكأنه يقصده بالذات

لم تتلاءم حركات سير ساقيه مع المسافة التى كان يقطعها .. كان يقترب أكثر مما هو طبيعى مع كل خطوة يخطوها ..

ثم أصبح هذا الخيال يتضاعف ويتضاعف حتى صار جماعة تخرج من خلف شخوصها ....

ومع كل تضاعف فى عدد الخيالات كانت تتضاعف دقات قلب الرجل خوفاً وهلعاً ..

وتصاعدت همهمات توحى بأنها أصوات آدمية .... لكنها كانت قادمة من عالم آخر ..

ومع إقترابهم إذ به يرأهم هياكل عظميه .. لأموات المشرحة يكسوها قليل من اللحم والدماء السائله..

ألجمه الرعب للحظة ثم أطلق له العنان .. نسى الرجل المهمه وإنطلق نحو أقرب ضوء منه وكان ضوء المستشفى .. لعله يجد آدمياً يلجأ إليه أو عاملاً يخفف من روعه ....

وجد نفسه أمام باب غرفة المشرحة ولا باب غيره فدخلها لكنها كانت فارغه من البشر ...

فقط الموتى يميناً ويساراً .. أغلبهم لاتوجد له معالم منهم من تهشم عظامه أو تاكل لحمه أو حرق جسده .. وجاء المترنحون من خلفه ليسدوا عليه الطريق ..

جثا على ركبتيه وصرخ فيهم مستعطفا : الرحمة .. أنا خادمكم ... وليته ما قال ..

فالموتى لا يستيقظون .. إنما ما رآه هو شياطين الجان التى تتمثل وتخيف وتستدرج خداماً لها .. من يومها أصبح خادمهم يفرق بين الزوج وزوجه ويقلب المواجع .. وينشر البغيضة والبغضاء بين الناس ..

أعطوة العهد وأصبح خادمهم بين البشر .. ينشر فيهم الكفر .. بينما لا يحذرون .. يفتت إيمانهم ويحيد بهم عن الطريق ... برغبتهم .. من يومها أصبح خادمهم يفرق ويقلب القلوب وينشر بالسحر البغضاء .. والكفر

أما بالنسبة لأهل القرية السذج فهو الشيخ المبروك الذين يقبلون يده تبركاً ... ويقرنون بينه وبين العقيدة .. ظناً منهم أن الاتجاه واحد ..

عنده حل لكل المشاكل و لكل حالة علاج خاص فالتى تبحث عن حل لمشاكلها مع زوجها أو عائلتها غير التى تبحث عن حل لمشاكل عنوسة إبنتها وغير التى تعانى من مشاكل صحية ثم من يريد الإضرار بعدوه .. وبصورة عامة هو يستعين بآيات وانواع معينه من البخور ليأتى بالحلول ... وهو يصل فعلا لهذا .. لكن وهماً .. إذ أن الشياطين هنا يستدرجون الإنس ويأخذونهم فى النهاية إلى طريق غير الطريق .. هذا شأنهم الذى فيه غايتهم ... تكفير البشر

والقرويين هم الأكثر إنجرافا لتيار السحر والدجل لأنهم بعيدون عن العلم القيم داخل النفوس منذ الصغر ولا ترسيخ لعلاقة الدين بالعلم .. بل لا يرى البعض منهم جهلا فى الأمرين تناقضا

كان جسد "زاى" قد بدأت تظهر معالمه .. فإكتملت أجنحته وبعض أعضاء جسده .. لكنها مازالت مقززة غير متناسقة .. إقتنصها من شرار الناس والحيوان ..

فتح الحاج "فتحى" عيناه ببطء مع بواكير الفجر .. أخيراً سوف تنقشع ظلمة الليل البغيضة ويحل النورالحبيب

لكن هذا لم يحدث .. الضوء المرتقب كان ذا لون بنفسجى قاتم .. ماذا يحدث ؟؟!! ..

هرع منتفضاً من فراشه حينما تذكر ما قراه البارحة فى كتابه ..

تذكر لعنة "موتسيا" وأنه تصحب تنقلات الكائن المدعو "زاى" تغير فى لون الشمس إذ تمر من خلال روحه الآثمة ..

إنتفض وأوصد الأبواب والنوافذ .. اللون القاتم يغطى كل شىء حتى السلحفاة أخته فى المولد كان يغمر صدفتها لوناً بنفسجياً .

اللون المقيت فى كل مكان ..على السجاد والأثاث وعلى الحائط وبين الكتب الكثيرة الموجودة على الرفوف فى عشوائية

سمع صوت أنين غامض .. ويا له من صوت مرعب .. لابد أنه صوت المسخ القاتل الذى أشار إليه الكتاب .. إذاً فذاك الكائن قريب .. قادم إلى عالمنا من المجهول .. يحمل ما لا طاقة للبشر به .. آت من درب آخر من الزمان عبر أجواء دودية لا تنفتح إلا بسلطان عظيم .. وبوسائل لا قبل لنا بمعرفتها .. أرهف السمع وتحقق أنه لا يتخيل .. الصوت يعلو هوينا هوينا .. يسمع انينا منتظما .. وكأنه زفير حيوان ..

حاول أن يتلصص النظر من فتحات شيش النافذة الخشبية إلى الشارع عساه يرى الكائن القاتل لكنه لم يره .... لديه فى كتبه دهاليز للإستفادة من حالة ظهور المسخ وكيفية قتله وإستغلال جثته فى تعاويز منتهى القوة ..

أمعن عقله الشرير أملاً أن يحظى بقتل المسخ حال ظهوره بالتعاويز .. أو إستغلال هذه الظاهرة التى قد لا تحدث فى العمر مرة .. لكن هذا لم يحدث .. فالمسخ لم يظهر فى الشارع ..

فقد كان المسخ فى غرفته .. وخلفه .. تماما ..

بعد قليل إستيقظت "هاجر" ..على صوت ألفته .. وبدأت تعتاده .. كان صوت المسخ "زاى"

قال كمن يقرأ تقريرا بلا حماسة : هيا يا صغيرتى أمامنا عمل .. إرتعدت .. فقد كان فى يده مخ بشرى .. كادت أن تتقيأ ..

وكان اللون القاتم فى سبيله للإنقشاع .. ولكن إنتشرت رائحة دم نفاذة فلم تستطع "هاجر" إلا الإندفاع الى دورة المياة لتفرغ ما فى معدتها .. قيئا ..

حتى الآن لم تتفوه لمخلوق بشىء عن "زاى" .. فهو مطلع بشكل ما ولن يغفرلها ذلك .. لقد تعاهدت معه مجبرة ..

بعدها توجهت الى غرفة الأب ... دفعت الباب الخشبى القديم ودخلت فرأت أباها نائما فى زاويته المعتادة .. لكنه كان قد تحول إلى قطعة دم كبيرة متجلطة ... وكانت الدماء تسيل من أعلا رأسه .. ياللهول .. ذلك المخ البشرى فى يد الكائن الوحشى ..

صرخت وفقدت وعيها ..

أفاقت المسكينة بين يدى "زاى" ... سبته وركلته .. قلت له : هيا أقتلنى أيضا أيها الدميم ..

لم يحرك المسخ ساكنا .. تركها وإنصرف جهة باب الحجرة متجهاً إلى صالة المنزل .. ثم الى حيث يرقد الباقى من الأب .. إلتفت إليها عندالباب وقال :
اباك لم يكن شخص جيد .. كان ألعوبة فذة من الجن .. وكان لابد أن يمحى من الوجود ....

طأطأ رأسه إلى الأرض وإستطرد قائلا فيما شابه لمحات الأسى عند الآدميين : أنت أيضا كان من المفروض قتلك .. فقد حظيت عظامى وكنت تنوين العبث بها ..

سكت قليلاً ثم تابع حديثه ناظراً إلى عيثيها : ..... أنقذك لقاء سريرتك ..... وشىء آخر ..

تركها وغادر والمخ لازال فى يده .. خرجت وراءه لا تدرى ماذا تفعل .. ليتها قادرة عليه ...

وصل المسخ إلى حيث ترقد جثة الأب الحاج "فتحى" .. قرب المخ من عيناه الفارغتين وتفحص باحثا .. مد يده ذات المخالب ونكش شيئا فيه .. قفذ من المخ كائن صغير صرخ ما لا يتلاءم وحجمه ... كانت صرخة تصم الآذان ..

نظر "زاى" الكائن القافذ فجمده مكانه ... تقدم منه وسحقه بما بدأ ينمو من قدمه .... إلتفت ثانية إلى الجسد المسجى وأعاد المخ إلى مكانه ... . رويدا بدأ صدر الحاج "فتحى" يعلو ويهبط من جديد ..

نظرها المسخ وهو يتلاشى أمامها من الوجود .. كانت نظرة عتاب لا طائل منها ..

سمعت صوته فى رأسها .... كان يجب أن يموت .. لكننى خلصته من سيطرة من كانوا يسيطرون
سكت الصوت برهة ثم تابع : ..... من أجلك ..

مضى الوقت غير محسوباً .. جامدة هى فى مكانها .. لم تعى منذ متى أو إلى متى .. هل كانت تحلم .. أم أن ماحدث البارحة كان واقعا .. لا تدرى

بدأ نور الصباح الواهن يتسرب من فتحات خشب النافذة المغلق .. فتحت عيناها التان كانتا مغلقتين إجبارا من الإرهاق ... كان الحاج "فتحى" جالساً على طرف السرير ... وفى عيناه تساؤل كبير لم يقله ..

دارت الفتاة كالمجنونة فى أرجاء المنزل تنادى هامسة "زاى" ..... "زاى" .... ولا مجيب

وفى الغد كررت نداءها عشرات المرات .. ولم يجبها .. هل غادر المسخ المكان ؟! .. مر يوم آخر .. وآخر .. ولا مجيب ... كان من المفترض أن تتنفس الصعداء ... أو حتى أن تأمل هذا لكنها إستمرت تناديه ...

وبعد أيام طالت عليها .. ظهر "زاى" فى حجرتها وكانت ملامحه قد بدأت تتضح ... ورأسه الأخرى المهملة قد أمتصت داخل رأسه .. وقد ضمرت أجنحته قليلا .. وتوارت خلف ظهره لم يكن إلا نظرة عيناه .. فلم يكن بها سواد إنسان العين ..

عايلته "هاجر ملياً .. ما من شك أنه كان يوما ما وسيماً .. قالتها له ولم تخجل .. وقد بدا أن إمتداد العشرة بينهما أحدث هذه الحالة من اللا حرج ..

رد عليها بقوله : لا تخدعنك المظاهر .. فلنا حالات نكون فيها فى منتهى الوحشية والدمامة وهذا مرتبط بالحالة النفسية التى نكون عليها ... وقد إختفيت تلك الأيام التى مضت لأنه كان يجب على المكوث فى حالة بيات سكونى ... لتنضم الرأس الزائدة إلى جسدى وتختفى داخلى

الليلة كانت أكثر هدوءً بل كانت رائعة على عكس ما مضى .. القمر فيها إكتسح السماء برداء مطرز بخيوط حريرية فضية .. كان ملكاً متوجاً على صدر الجبل ونسيم الليل النقى .. إنسابت قطرات الندى تحاكى الليل بأروع الأساطير و الحكايات و الأشجار تتمايل بنشوة غريبة الملامح

أمعنت الأنثى النظر إلى الجسد الممشوق الذى كان بالأمس مسخاً يثير الغثيان .. لازال مشوها لكنه جميل .. وكان أجمل ما فيه روحه .. فعلاً قد تنجذب إليك أنثى وتصبح مرامها ولو كنت دميماً كاحدب نتروادم .. لفرط إعجابها بطريقتك فى الحياة وما يعتمل داخلك من قوة ..

إنزلقت عيناها المتفحصة للتغير الذى طرأ المسخ .. وباعدت وجهها فجأة .. وقد إكتسى وجهها بحمرة الخجل .. لقد إكتمل المسخ كثيراً ..

وضعت يدها على كتفه .. لم يكن للخجل مكان كبير فالمسخ ملازم لها من أيام تعددت ..

تبدأ مراسم الإرتباط فيتسرب الخوف إلى أوصال "هاجر" تحس و كأنها طفل يصارع جبروت ذلك المساء المخمل .. لم تعلم من حفيت أقدام الشباب وراء وصالها كيف إنجذبت نحو دميم مشوه .. وقالت عيناها ما لم يستطع ثغرها قوله ..

أما "زاى" فلم تقل عيناه شيئاً فقد كانتا بلا إنسان عين ... وجسده بلا إنسان أيضاً .....

تناولت أحد سراويلها وخاطته ليناسب بقايا الرجل الماثل أمامها .... ناولته إياه وأشارت إليه ليلبسه ... لم ترد سترته ..... أرادت بذلك حماية نفسها .. من الإنجراف .. فلا أحد يراه غيرها

لم تشعر بمرور الوقت إلا عندما بدأت خيوط ستائر الليل تتسلل من الغسق تاركة وراءها بصيصاً لطيفاً من النور مشوباً ببرودة ناعمة .. نظرت من النافذة واذا بقرص الشمس يوشك أن يتوارى فى الأفق البعيد وراء سحب آتت لتزف الشمس إلى مستقرها وتأتى بالليل الحالم ..

سبحت روحها فى فضاء الأحلام .. وإذا بها تسمع همساً ناعماً هادئاً ... قال .. حبيبتى ....

لا إراديا إلتفتت بنظرها نحو مصدرالصوت .. إضطرب منها القلب .. وإرتعش الجسد طرحت النوم جانباً ... هالة ضوئية أضاءت العتمة .. إنه هو رفيق سجنها .... بدأت صورته تتضح رويداً... رويداً .. فعلاً هو .. فارس أحلامها .. آتى بلا جواد ..

وإذا به هو نفسه .. شعره الأسود وثوبه الأبيض البهيج وإبتسامته العذبة التى لا تنتهى ....

خطا قادماً صوبها .. بنفس الخطى والسحر والثقة .. إقتربت هى أكثر فأكثر .. لا تريد أن ينتهى حلمها قبل القبلة .. كما يحدث .. دنا حتى لامسها ولم تحرك ساكناً .... لم تصدق أن الحلم لم ينتهى .. راحت عيناها تتفحصانه .. وتتأمل سحره الأخاذ بينما هى تتمرغ فى أحضانه .. آتت منه ما تمنت .. وأتى منها ما أراد ..

حاولت النطق فلم تستطع وكأن لسانها أصابه البكم ... عجزت عن الكلام .. عجز اللسان عن التعبير نظرت إليه وكانها تود أن تعيد إلى نفسها الطمانينة وإلى قلبها الملهوف سكوناً .. لقد تعدى الحلم القبلة بكثير ومازال باقياً ..

لم تكن نادمة بل مرتبكة من السعادة والشعور بالفرح والنشوة ... تحرك لسانها بعد شلل ... فسألته : من أنت ؟ ... أجاب بهمس الكلام وبصوت عذب هادىء كدفق الألحان : أنا "زاى"

أنا بجانبك .. جئت من أجلك .. لا وقت للإجابة على كل أسئلتك ... لكنى سأعود وأجيبك على ما تريدين فى الوقت المناسب .... والآن إنتهى وقتى ويجب أن أعاود فأختفى من جديد خلف نفسى

تركها فى حيرة من أمرها .. مادت قدرتها .. وهانت أفكارها ...

غادرها والسعادة ترتسم على وجهها وقد عرفت لفارس أحلامها إسما تطلقه عليه وتناديه به

قطعت الشك باليقين بأن ما حدث حقيقة ... إزداد قلبها تعلقا به وإزدادت روحها هياماً وأبت نفسها أن تسكنها روح سواه .

صحت من نومها والحلم الجميل مازال يراودها .. لكن ما هذا التخريف .. لم يكن فارسها هو "زاى" .. بل كان صاحب الحصان الأبيض الذى يأتى إليها دائماً فى الأحلام ... يخطفها على حصانه ويعدو بعيداً .. وحينما يبدأ فى طبع قبلته على شفتيها تصحو من النوم ..

لقد تمادى الفارس هذه المرة وبلغ بها المنتهى ... لكن لماذا قال أنه "زاى" .. ولم يكن هو؟!

فتحت عيون الكرى لتجد "زاى" ماثلاً أمامها يحملق بعيناه التان تبدوان لا تنظران ..... وجلت وقامت من مرقدها سريعاً فقد أحست كما لو كان ذلك المسخ قد إطلع على حلمها الخاص

رمقته بعين فاحصة وقد إرتدى السروال الذى أعطته إياه ليستر نفسه به أمامها ...

لمحت على وجهه إبتسامة رضا حاول رسمها على شفتيه بصعوبة .. واضح أن هذا الوجه لم يعتاد الإبتسام

قال لها وقد فهم ما يعتمل داخل عقلها : .. لم أحظى بكل شيء .. مازالت الحياة بعيدة عنى ..

ردت بنظرة عيناها المتسائلة ... وأجاب هو عليها : يجب أن أسترد قلبى .. وهذا دورك ..

حملقت مستفهمة .. فقال : ستذهبين أنت ووالدك لإحضاره من مكان بعيد عند إلتقاء السهل بالجبل .. وسيكون عمل خطير .. ولن أستطيع التدخل .. فمن هناك يستطيعون تدميرى ....

جلست "هاجر" تفكر ملياً .. لا تستطيع إلا الإذعان .. لا مجال للهروب .. كيف يمكن أن تنجو

طرقات عنيفة على الباب أخرجتها من سكون خواطرها .. حينها إنفتح الباب عنوة تحت وطأة القرويين الثائرين .... ويلاه غضب عارم يهز الفنوس فى أيديهم .. عيونهم الحمراء تقدح ناراً يريدون الفتك بالحاج "فتحى"وإبنته .. ترى كانوا يحيلون أمر ما يحدث فى القرية لهم .. أم أن قوة أخرى غير منظورة أتت بهم ..

خرجت الفتاة وبفعل غريزى إرتمت على أباها الساكن الحركة لتحميه بجسدها ... سكون عم المشهد وكأنما تيبس الجميع فى مكانهم .. قطع السكون ظهور"زاى"خارجاً من حجرة "هاجر"

أشاح بوجهه جهتهم فعادوا مع إشاحته إلى الواقع المر من جديد .. إستداروا واتجهوا صوب الباب بعيون زائغة منكسرة .. هل كانوا يرونه أم أنه سحرهم ؟ نظرت إليه باستغراب .. وتدافعت الكلمات مرتجفة من ثغرها المشرب بالخوف ... متى نذهب لإحضار القلب ...

ومضت السماء وميضاً أظهره الضوء المفاجيء من شباك الحجرة .. لفت" زاى" عيناه نحوه وكأنه ينظره بلا عيون .. وتركها وخرج من صالة البيت ... متتبعا أباها الحاج "فتحى" الذى قام منذ قليل وتوجه صوب غرفة مكتبه التى لم يكن يدخلها "زاى" إلا قليلا ..

تلك الحجرة التى إكتظت بأشياء لا يعلم قيمتها إلا هو ..... أشياء إشتراها من مزادات التحف وأشياء أتى بها من سوق الخردة وغيرها أخذها من القمامة .. ومسروقات من المتاحف الأثرية إضافة إلى المتاع الذى أوصى به تاجر الروبابيكيا الذى يتحين الموت فيذهب إلى عائلة المتوفى ليأخذ متاع من مات بأبخس الأثمان ....

دخل "زاى" الحجرة وباغت الرجل بسؤاله عن تاريخ مولده .. نظر الرجل إلى سلحفاته العتيقة التى كانت تركن تحت المنضدة .. وقال مساء يوم الثالث عشر من يونيو سنة ١٩٢١ .. أجابه العجوز وكأنه يعلم بوجوده بالمنزل .. لم يفاجأ أو يتعجب

أجابة الرجل التفصيلية الهادئة كانت توحى بأنه يعلم لماذا يسأله المسخ ..... فتاريخ الموت وتاريخ الميلاد لهما وضع معين فى التعامل مع الظواهر الغيبية .... ولها مدلولات ومقاصد

هو يعلم أن الإبتلاء درجة متقدمة من درجات الإختبار لأنه يُبلى الإنسان .. والبشر مخلوقون فى الحياة للبلاء وكل ما يمر عليهم من أقدار تؤثر فى حياتهم كأفراد أو جماعات بل إن ما وجد فى الإنسان من حواس وجوارح وظروف تؤثر فى تمكينه من الأدوات اللازمة له ليتأهل للمشاركة فى الأحداث خاصة الجليلة منها وتكون الحجة عليه أو على مضاده فيكون جديراً بالحكم فى نهاية المطاف منتصراً أو مهزوماً

قال "زاى" دونما تفكير .. باق شهر وثلاثة أيام .. وتركه وعاود السير إلى حجرة "هاجر" فهى مستقره الذى ألفه يختفى فيه ويظهر ويتكون .. وربما كان هناك سبب آخر .....

طأطأ العجوز رأسه وكأنما هو مُسير إلى مصير محتوم .... وفى اليوم التالى جلس إلى إبنته قال لها والحسرة بادية عليه .. لقد كتب علينا أن نذهب لإحضار قلب "زاى" .. لا مفر .. وهو أمر محفوف بخطر لاتدرى مداه ..

قلبه مدفون فى مكان رهيب بالجبل .. ويقبع عليه حرس أشداء .. لابد من إحضاره .. و"زاى" على عنفوان قدراته لا يستطيع الذهاب إلى هناك ..

انت المخولة بهذا العمل دون غيرك .. ولا تظنين أن هذا المسخ تركنا نعيش إلا لهذا السبب

صمت برهة وقال مفسراً : ..
قرأت هذا فى النبوءة المذكورة عن لعنة "موتيسيا" .. وإن لم ننجو .. فسوف يظل يسعى من جديد حتى تقع عظامه مرة أخرى فى يد عزراء لها نفس مواصفاتك ..

إتسعت عينا "هاجر" .. كانت تظن أن"زاى"منحها الحياة لسبب آخر .. كيف واتاها هذا الفكر؟!

هل أحست تفضيلا لها عنده .... هل كانت تأمل فى حب يجمعهما ؟؟!! ..... لم تكن تدرى

هو ليس إنسان على شاكلتها .. ولا يمتلك من الوسامة ما يذكر ... هو شر مستطير .... لكن شيئاً ما فى داخلها كان يفضله لا تعلم كنهه ..

مضت الليالى رازخة تحت العواصف والرعود ... وفى اليوم المحدد زادت السماء من كآبتها

العجيب أن أهالى القرية لا يتكلمون .. يأكلون ويشربون وكأنهم نائمون .. لا يغادرون حدود المكان .. ومن يدخل القرية لا يخرج منها .. يصبح فى التو مثلهم ..

ناقشت "هاجر" الأمر مع والدها العارف فقال فى حسرة وكأنما يقر أمراً واقعاً : .. "زاى" من قوم قادرون على السيطرة على العقول .. يستطيعون الإيهام بأى شىء .. لكنه يضعنا أنا وأنت خارج هذه الدائرة .. لسبب أشد خطورة .. سيحملنا مهمة إحضار قلبه من الجبل ..

حملق الرجل فيها وإستطرد : .. وأنت بالذات منوطة بهذا .. دون غيرك ..

وجاء الموعد المحدد لذهابهما إلى الجبل .. الناس فى شوارع القرية هلعون .. يجرون يمنةً ويساراً بلا هدف .. كل شئ تلون بلون غريب

البيوت الهادئة المطلية بالكلس الأبيض تحول لونها هى أيضا إلى ذلك اللون القاتم المقيت ..

الطرقات الرمادية تحولت للون البنفسجى المحمر .. أما الناس فلم يتحول الكثير منهم الى ذلك اللون ... بعضهم فقط .. وكل غير الآخر .. بعضهم زادت حمرته فأصبح قانيا بلون الدم ..

لحظات و ملأت الشوارع أنهار من الدماء .. تجلطت بسرعة وبدأت الأرض تفور .. تنتج فيها بؤرات منتفخة كالسرطان .. ثم تتفجر لافظة ما بداخلها من حمم .. تسعى حثيثا ثم تختفى ..

أخرجت الأرض ما تحت ثراها من رفات .. وبعثرت القبور ما حوته من العظام النخرة .. تفجر البركان الخامد تحت أرض القرية لمئات السنين ... طالت اللعنة كل شئ .. الناس فى وجوم الموتى .. يسعون ولا يتكلمون .. كأن سكرة الموت قد طالتهم وهم أحياء ..

ويلاه .. الأرض تعاود إبتلاعها للأجساد الواحد تلو الآخر .. لكنها تتخير من تلونوا بلون الدم

أقبل ذلك الصبح ينشر الوجل والرعب ..... فجهز الرفيقان نفسيهما لبداية رحلتهما الخطرة حضرا كل مايلزمهما كبشر عاديين فلا دخل للمخلوق بالأمر بعد أن يوصلهما إلى مشارف الجبل

مضى "زاى" يشرح لهما ما سيفعلانه وكان يملؤه التفاءل لكنه كان غافلاً عما هو قادم وما يمكن أن يحدث فى دنيا البشر وصراع مع آخرين من غير البشر .. أشداء عليه هو نفسه ..

باغتته "هاجر" بسؤالها : لماذا قتلت زوجتك كما أخبرتنى .. ؟

يزداد ذهوله ويجد نفسه فى وضع حرج كأن احداً أمسك عليه شيئاً عنوة .. قال وعلى محياه مسحة كآبة لم يستطع إخفاءها : الأمر معقد جداً بالنسبة لفهمكم لكنه كما تقولون قدر كان لابد منه .. فلا تظنون أننا مثلكم .. أو حتى أشباه .. إن لنا قوانيننا .. والتشبه بكم إثم لا توبة فيه العطف والحنو عندنا قد يكون جريمة لا تغتفر .. ونحن قوم متداخلون يعيش بعضنا داخل بعضنا وفى النهاية كيان واحد لا طائل لكم بمعرفته .. أو فهم كنهه ..

قال كلماته وقام فرحل عن مجلسهم ممزق الكيان مملوء بالحسرة والألم كان يظن أنه بين من لم يتخلوا عنه .. صعق بسوء وضعه الذى آل إليه .. ولكنه رغم ذلك وجد طريقاً من خلالهم

وجد لنفسه فرصة لإعادة حياته فعاهد نفسه وبمساعدة منهم أنه سيقطع الصلة مع بنى البشر ولعل وعسى يستطيعون ما لا يقدر هو عليه .. تحامل عى نفسه وعاد متشبثاً ببقايا قوته مع بنى الإنسان .. إنشق ظهره عن جناحين كأجنحة الوطاويط .. وقال هيا سأحملكما إلى مشارف الجبل ..

مضت الساعات بسرعه وحانت لحظة السفر .. حملا كل ما قد يحتاجا إليه من مؤن جافة ومياه وأضلاع خيمة سفر صغيرة تكاد تغطيهما بالكاد لو فرداها ..

حملهما "زاى" وومضت الدنيا بوميض أعمى الأبصار للحظة .. فكانا فى عباب السماء لحظة ثم على الرمل فجأة وفى المكان الموعود ..

كان الجبل كبيراً جداً ..رهيباً ومسيطراً ...خلاوه غذى الياس المتراكم لديهما من فعل الخوف أمنيات الأمل والتفاؤل ما عادت صالحة للإستعمال .. أظلمت الدنيا فى قلبيهما .. هما مسيران إلى مصير غير معلوم .. لا يعرفان عنه إلا أنه يحمل الهلاك

صمتاً مضيا غير معنيان بتفسير الأسباب وبقيا لا يعرفان لون أو شكل البسمة ولا صوت الكلام الدنيا فارغة .. إلا من أصوات تأتى من بعيد .. لا يدرون مصدرها .. وهذا طبع الخلاء ... قد تسمع الهمس من شخص يبعد عنك أميالاً

إقتربت الشمس على المغيب .. ومن بعيد كانت القمم السوداء قد بدت تلوح بذاك المشهد المر الرهيب الذى يثير القشعريرة فى النفس

ذاهبان نحو القمة وربما القمر الذى بدأ فى الظهور فقد أسرع الليل خطاه وكأنه يرحب بقدومهما ربما سيموتان حالاً من بطشة مخلوق مجهول .. ربما تغرقهما الرمال .. ربما تأكلهما الصخور

تقرَّحت عظامهما سريعاً من شدة ثقل شنطاتهما المعلقتان على الظهور تنخر العظم .. والجبل هنا لا يعرف الوهن .. الأب ساكتاً يعلم ما لا تعرفه إبنته .. يحمل فى داخله رفضاً يتحدى به الحياة

مضيا صاعدان يغالبان التعب ووعورة السفح الصاعد والدنيا زانغة كأحلام الأيتام .... الليلة موعدهما مع حرس قلب "زاى" القادم من أعماق المجهول ..ها هى بشائر الرعب قادمة من صوب قمة الجبل .. برقت عيون من بعيد .. توقف المغامران المسيران إلى مصيرهما .. قال الأب سنعسكر الليلة هنا ..

كان السكوت يخيم على المكان .. لاشئ على امتداد البصر فى صحراء خلت إلا من بعض القمم التى برزت من الرمال .. أما من ناحية الجبل فكان المنظر رهيب فقد كانت مجموعة من القمم السوداء

تلك الجبال تجثم على الأرض بمنظر مخيف .. كانت المره الأولى التى تشاهد فيها "هاجر" تلك الجبال .. تفحصتها بدقه وكأنها تبحث عن شئ وفى جزء من الثانيه خيل لها أنها رأت شيء يتحرك لم تكن متأكدة لكنه ذاك الشعور الغامض يتحرك مرة أخرى فى أعماقها .. شعور بأن هناك شئ جلل سيحدث .. الشعور أن هناك شئ غامض ينتظرهما .. فلطالما صدق معها ذلك الشعور بواقع التجربه .. لم تكن تدرى أن هذه الرحله سوف تكون مأساة سوداء مثل لون الجبال فى عتمة الليل ..

ربما كان ما يريانه متفقاً مع الواقع .. لكن ما كان جديراً بلفت الأنتباه هو ذلك التجمع المحتشد لكثير من الغربان أمام أحد الكهوف البعيده .. فتح الأب وريقة كالخريطة أخرجها من جيبه وهز رأسه مهمهماً ... فقد كان هذا الكهف هدفهما المنشود ..

باتا ليلتهما بين أصوات تأتى إليهما من صوب الجبل .. أصوات لا يقال عنها إلا أنها لمخلوقات من غير البشر ولا الحيوان أو الطير .. كانت عيناهما تنفتحان عنوة إذا ما علت أو أحسا إقترابا ينتظران حتفهما .ولا يملكان لمجابهتها أى حيلة ..

وقد قررا أن يدخلا الى أعماق الجبل فى اليوم التالى وإنهاء المهمة التى كلفهما بها "زاى" بأسرع ما يمكنهما .. ولم يكونا يدريان أن دخولهما للمغارة المشار إليها هو فقط بداية لحزمة أحداث رهيبة آتية ..

مستسلمان للأقدار .. ما باليد حيلة .. فهما مسيران إلى مصير مجهول ...

إشراقة شمس الصباح فى اليوم الثانى كانت تحمل أجمل منظر فلم تكن السحابة الرمادية الغامضة موجودة ولم تكن الأحداث التى تعج بها القرية كائنة هنا ..
وكانت الشمس تعكس أشعتها على الرمال وعلى تلك الجبال التى كانت سوداء بمنظر رهيب فى الليل

تلك الأشعه القويه الصادره من الشمس قهرت الظلام وقهرت الأشباح وبددت الرهبه والخوف من نفسيهما وأزالت ما وصمه الليل بصمته الغامض وظلامه المخيف وما كان لهذا من تأثير مفزع للنفوس وكأنه ممتلئ بأشباح عالم الظلام

أمتلأت نفوسهما بالحيويه ودب فى جسديهما النشاط و تحمسا لإنجاز مهمتهما فمضيا يستحثان الخطى فى طريقهما الصاعد الوعر ..

ما أثار الأهتمام وجود ذلك العدد الهائل من الجحور التى تتواجد فى أعلى الجبل منظر هذه الكهوف أضفى جو التوجس على المكان وكأنها تحتوى على جنود جيش جرار يتأهب للإنقضاض

وصلا أخيراً إلى بهو المغارة المقصودة

المكان فى الخارج منبسط وفسيح والمغارة على ما يبدو كذلك فلازالت أمامهما خطوات عديدة حتى يصلا للمكان الذى منه يمكنهما أن يتبينا عمقها .. وظلام الداخل يمتد إلى مساحه طويله

الشعور المبهم بأن هذه الرحله سوف تقع فيها مأساة ظل يراود "هاجر" لكن نشوة المغامرة التى شعرت بها أزاء تلك الأحداث كانت تقابل ذالك الشعور وتضاده .. أما الأب فلم يكن هذا حاله .. كانت علائم الوجوم وربما الحزن ماثلة على محياه ... إذ كان أكثر منها علماً ...

لم يكن داخل المغارة غير الظلام وتلك الغربان الغريبة ... وسلم طويل محفور فى الصخر .. يصعد بالصاعد إلى باب يؤدى إلى غرفة يغمرها الضوء .. وإن كان عديم المصدر

الغربان ليست من الطيور الليليه التى تستطيع الرؤية فى الظلام ... الأغرب من ذلك هو ذلك الأنعكاس الضوئى الذى يحدث على عيونها فيجعلها تبرق فى الظلام

فهذا لا يحدث ألا على العيون التى تستطيع الروايه خلال العتمة لمخلوقات مثل القطط والذئاب والثعالب .. لكن الغربان من الطيور التى تأوى إلى أعشاشها حين غروب الشمس ولايمكن أن تعكس عيونها الضوء

الغريب أيضاً أنها موجودة داخل الكهف ولم يسمع أحد على الأطلاق أن الغربان تسكن الكهوف ..

بعد ذلك وفى لحظات إختفت جميع الغربان وكأنها لاحظت وجودهما أو ربما توارت لسبب ما ...

مامر حتى الآن من الأحداث كانت "هاجر تشعر بأنه حدث مكرر .. بحثت فى أعماق عقلها علها تتذكر .. ولكن كان أمامها ذاك الفراغ الرهيب المظلم لم تتذكر شئ .. أقنعت نفسها أن ذلك ربما يعود الى حلم قديم فتلك المشاهد التى كانت تراها لم تكن غريبه عليها على الأطلاق ... ذلك ما كان يشعرها بقلق غامض أمتد إلى كل كيانها ..

فربما شارك روحها داخل جسدها .... روح أخرى ..

أصرت هاجر على أن تتقدم أباها بينما هما صاعدان إلى الحجرة المنيرة أعلى الدرج .. كانت تتوقع منه أن يمانع كعادته للذود عنها .. لكن هذا لم يحدث ..... وكأن ما يحدث هو تحصيل حاصل لشيء يعلمه .. أو يتكهن بحدوثه ..

كان يعلم أن "هاجر" لن يمسسها سوء ..

ومضت الحجرة بضوء وهاج عندما إقتربت "هاجر" ووالدها من الباب .. وظهر خارجا منه شبح .. أوحت صورته أنه ربما لإمرأة .. تدثرت داخل عباءة رثة ..

لحظات طالت سكنت فيها الحياة إلا من وقع الأنفاس ... وجوم ما بعده وجوم ... قطعه ذلك البريق الوحشى الذى كان مصدره عينا الشبح الماثل أعلى الدرج ..

المسافه ليست قريبه التى تفصلهما عن الشبح ألا أنه أزاد من الرعب بعلوه عن الأرض وتحركه فى الهواء .. ثم إنقض فجأة عليهما ..

لم تدر "هاجر" كيف واتتها هذه الشجاعة .. حتى تتصدى للشبح حامية والدها بجسدها .. فقد كان من الواضح أن الشبح يستهدفه ..

إرتد الشبح للخلف وراوغ .. ما من شك أنه لا يريد المساس بهاجر .. وكان فى حركته يهمس فحيحا مرعبا كالأفاعى تبينت منه هاجر كلمة ..... "زاى"

إقترب الشبح من المغامران كثيراً ... حلق فوقهما هائماً بلا أجنحة .. قرب وجهه البشع من "هاجر" حملق فى وجهها بعيون بشعة قدحت شراً ..... أخرج من تحت عباءته يد ذات مخالب وكان وجهه أقرب إلى الحيات منها إلى البشر .. وإحساس ما يوحى بأنها أنثى ..

صرخ الوالد خوفاً على إبنته محذراً فقال : لا تستسلمى فسلاحهم الوهم .. لحظتها إنقض المسخ عليهما فى شراسة .. أغمضت "هاجر" عينيها مستسلمة للقدر .. وفتحتهما .. لتكتشف أن المسخ قد إختفى من الساحة

نعيق مبحوح من فوقهم .. كان صوت غراب بصوته المشئوم يقول نفس الكلمة .."زاى" ..

لم يتحرك أحد .. كان صوت الغراب كأنه يستنجد .. لكن أحداً لم يتحرك .. أظلمت الدنيا لثانية وإختفى الوحش المرعب .. سارعت "هاجر" فإرتقت ما بقى من درج .. ووصلت للحجرة العجيبة .. وقبل أن تلجها إلتفتت إلى والدها خلفها .. لكنه لم يكن موجوداً ..

جالت عيونها تبحث عن أباها .. ولم تجده .. لا على الدرج ولا فى أسفل بهو المغارة ولا فى الحجرة التى دخلتها لتوها .. الحجرة كانت كمكان عاش فيه شخص ما لمدة ... وفى وسطها على الأرضية كانت هناك دائرة تحيطها شموع دهنية كالتى يصنعها البدو من شحوم الحيوان

داخل الدائرة كان نقشاً كالحروف .. لكن كلماته كثيرة جدا واللغة غير مفهومة .... وكان من نقشها إستغرق سنين لإتمام ذلك .. وفى المنتصف كان هناك بعض الأشياء التى لا مسمى لها لكن من بينها كان قلب ينبض والدم يسيل منه .. قطرات ..

تقدمت "هاجر" وخطت داخل الدائرة لتتناول القلب .. فهو قلب" زاى" الذى أتوا من أجله ..

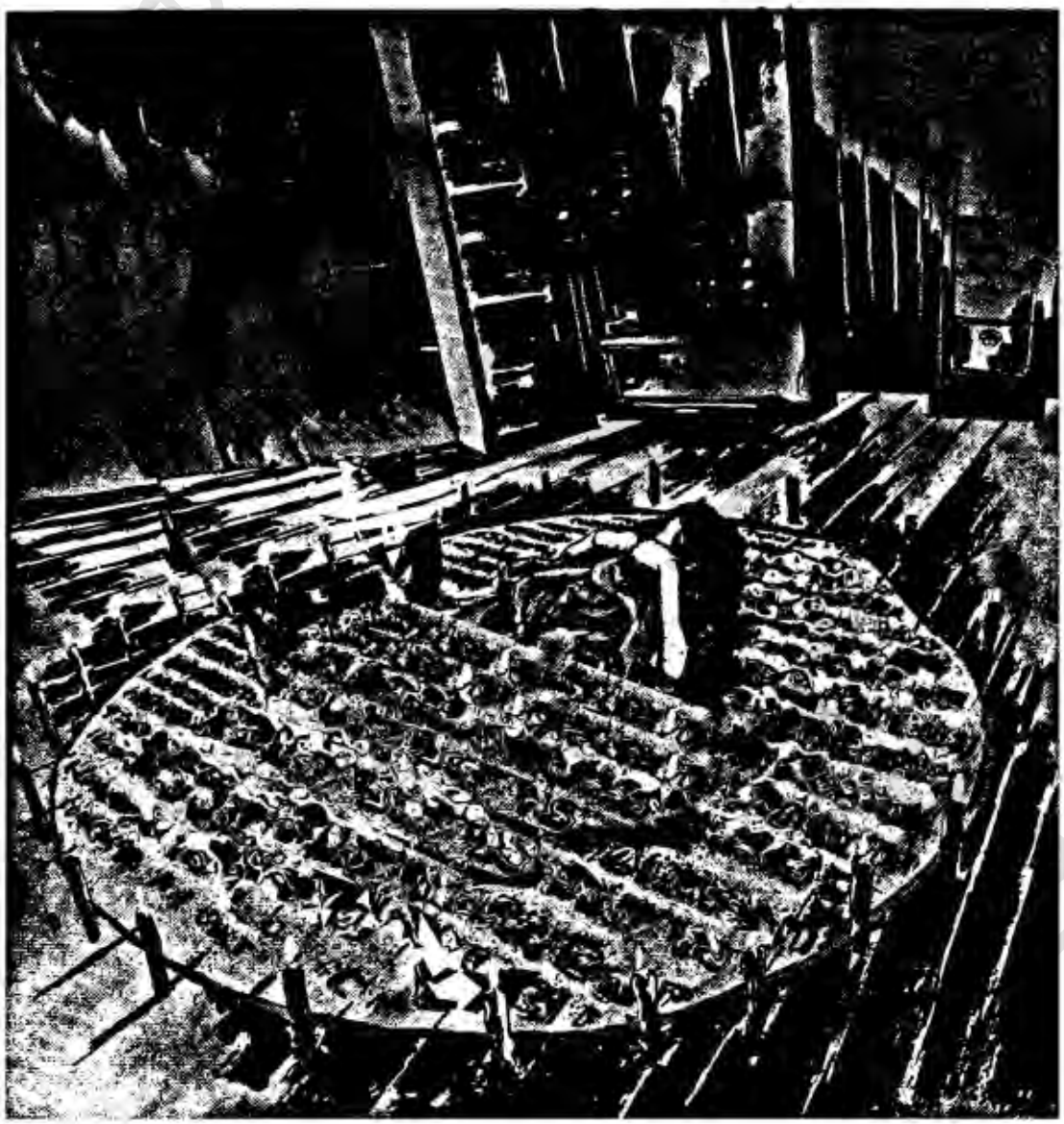

القلب هو تلك العضله اللاإراديه التى لا يحيا الإنسان بدونها .. وهو من يتحكم في المشاعر إذ هناك صله بين العقل والقلب .. يجمع بينها رابط غير مادى قوى .. وخلجاته تحمل مجمل الأحاسيس .. والقلب سمى قلباً لأنه يتقلب بالإحساس والشعور فكان أحق من العين والعقل فالأعمى يحب ويكره والمجنون كذلك و بدون شعورالقلب فلن يحدث حب ولا كره ..

ولكن لماذا تفترس الحيوانات بعضهم بعضاً رغم ان قلوبها أكبرحجماً من قلوب البشر .. ولماذا تأكل القطة اطفالها ؟ ولماذا يقتل الإنسان أحيانا اخاه وامه وأباه ؟

الفراعنة كانوا يوزنون قلب الميت ليعرفوا إذا كان طيباً او شريراً ثم لماذا تزداد دقات القلب عند احاسيس معينة مثل الحب و الخوف كناية عن الإحساس وقد اعتاد الناس استخدام اللفظ على أنه رمز الحياة الأول والأخير ..

و"زاى" إلى الآن ينقصه قلبه .. أى أن حياته ينقصها الكثير .. "هاجر" أتت له بقلبه .. لماذا هى بالذات .. ولماذا حافظ عليها .. ولماذا نقى رأس أباها من دنس الدخلاء ... ولماذا تجنب الشبح منذ قليل مهاجمتها .. وأين ذهب أباها ..؟؟!! أسئلة لا إجابة لها ..

غادرت الفتاة الحجرة .. لم يكن الشبح بالخارج .. كانت هناك إمرأة جميلة عارية الا من دثار أسود لم يخف مفاتنها.. بدا هذا من شعرها الذهبى ويديها البيضاوتان الخارجتان من تحت الدثار الذى يغطى أجزاء من جسمها ...

كانت قابعة عل الأرض أسفل السلم الحجرى .. ومنهمكة فى عمل شىء .. رفعت رأسها لتنظر "هاجر" ويلاه ماذا كانت تأكل .. إنها تأكل من جسد بشرى .. يا للمصيبة إنها جثة أباها ..

إنطلقت الفتاة التعسة "هاجر" بلا وعى لتهاجم المرأة المفترسة .. التى حركت ذيلها الإفعوانى لتلطم الفتاة به فتفقدها وعيها ...

إستفاقت من الصدمة لا تعلم قدر ما خفته من جراء الصدمة رأسها يكاد ينفجر من الألم ..... خرجت المسكينة منهكة القوى تجر قدميها اللتان ناءا بحمل جسدها وعقلها يكاد ينفطر حزناً

لن تنسى ذلك المشهد أبد عمرها .. لكن لابد من الإنتقام ولو دفعت حياتها ثمناً ..

الرياح تشتد .. والشمس كانت قد أنهت رحلتها اليومية وأعلنت عن نهاية اليوم ألثانى من أيام رحلة ألرعب فمضت ذاهبة إلى غروب حتى تطلق سراح ذالك الخوف ألذى كانت تحتجزه بنورها

أغربت الشمس تاركه الحريه الكامله لكيان الرعب لينتشر فى النفوس وأقبل الليل بما يحمله من غموض ووحشه ورهبه لكن وهن الجسد كان أقوى وأشد .. فأسلمها إلى الأرض .. راحت فى سبات عميق غيبوبة كالموت ..

شئ غامض كان فى حقيبتها .. مازال ينبض ويضخ دماء لا مورد لها .. إنه قلب "زاى" ... ألشعور شئ كانت تدركه وتجهله .. شئ يقبع فى ذلك الجزء المظلم من الذاكره .. الجزء الذى تنطلق منه الحاسه السادسه .. الجزء الذى ينبئك بوجود شئ مريب .. خطير .. قد يحدث بين لحظة وأخرى ..

أفاقت لتجد نفسها بين يدى فارس أحلامها .. هى تحلم بالتأكيد .. أو ربما إنتقلت إلى عالم الموت لكنها تحس به إحساس المتيقظين .. هو فارسها الذى يأتى فيخطفها على حصانه .. ذلك الرجل القوى الوسيم .. الذى يغمرها دون سواها بحبه .. ذلك الشخص الذى تمادى فى بث حبه لها فى المرة السابقة .. قبيل ضلوعها بتلك المهمة النكراء .. وقبل ترحالها ألى هذه البقعة البغيضة من الأرض .. ذلك المكان الذى أكل والدها حياً ..

قالت فى دلال : ألن تخبرنى بإسمك ؟ .. قال : لقد أخبرتك ..

إحتضن يديها بيديه وقال بحنو بالغ : لن أكذبك بعد الآن شيئاً .. أنا المسخ الذى كان يحجرتك أنا الرميم الذى أرق بالك .. أنا الوحش الذى دمر قريتك ..... وأنا فارس أحلامك .. "زاى"

لم تكن تتوقع ذلك .. ماالذى أحضر ذلك المسخ المتحول فى هذه اللحظة لحظات .. عقدت الدهشة لسانها .. مزيج من الدهشه والإستغراب والخوف ماالذى أدمج المسخ "زاى" فى فارس أحلامها

وإستطرد متابعاً كلماته : أنا كل من قابلت هنا .. فأكواننا متداخلة .. كلنا ذائب متشابك .. وأنا خرجت عنهم كما خرجت زوجتى من قبل وقتلتها ..

أفكار سوداء كانت تحوم فى رأسها لتفض بكارته وتفتت ذاته المهترئة ..... تسابقت الغربان وحامت محلقة حول "زاى" .. ناعقة تشق الصمت وتزيد من كآبة العالم الغريب ..

قالت : ووالدى المسكين ...

رد عليها : كان مصيره محتوماً .. فقد تلوث بالتعامل مع أعداءنا .. لكننى أرجأته ليقوم بمهمة فى صالحى .. كان يجب أن يموت .. حملها بيد من حديد وشق ظهره لتبرز أجنحته خارجه ..

إنتابتها إغماءة وهزيان وأصيب عقلها بالشلل .. ظلت تصارع الفهم والإستيعاب فهى تتعامل مع كون لا تسرى فيه حقائقنا .. كون تداخل مع كوننا فى شخصها هى .. لاتعرف فيه مقادير ولا موازين ولا منطق .... قياساتهم مختلفة شاذة .... وذلك المسخ الذى أحبها كثيراً وأحبته للحظات .. أرعبها وأرهقها .. وقتل أباها ..

أطلقت العنان لخيالها الجامح ليصور لها أشياء هى ضرب من الخيال ناهيك عن ذلك الشعور المبهم الذى لم يغادر عقلها ..

فى لحظة وجدت"هاجر" نفسها وهى بين يدى "زاى" المسخ الدميم يحملها فارداً جناحيه طائراً بين الركام والدخان الأسود الذى بدأ فى الاندلاع من ثنايا الأرض الجبلية ..

وصل بها إلى السحاب فنشر جناحيه فى ثبات .. وهام فى هدوء كالحدآت فى أعالى الأجواء

أصبح جسده متكاملاً ممشوقاً متناسقاً مكتنز العضلات .. ووجهه أصبح وسيماً راسخاً .. كان حينئذ يستحق أن يجسد فتى الأحلام بحق ..

قال "زاى" بصوت ملأه الأسى .. لأول مرة يحمل صوته إحساس بهذا العمق : .. ألم أقل لك .. نحن نتواجد حيث يعم الدمار .. هذا من صميم كوننا .. والكائنات تعيش على رفات غيرها

نزل بها الى صحراء آمنة وإستطرد :
لم أقتل من لم يستحق .. كلهم إستحقوا هذا ومنهم أعدت بناء جسدى ..

لكننى .. إرتكبت الخطيئة ثانية .. لقد أحببتك .. والحب عندنا خطيئة لا تغتفر .. الحب عندنا أيضا شر وقتل ودمار .. وقد قتلت زوجتى لهذا ..

لكننى مع هذا أحسست شعوراً إنسانياً نحوك .. أحسست نحوك شيئا آخر .. لن أسمح لنفسى أن أتمثل بالبشر .

مدت"هاجر" يدها إلى صدره وإقتلعت قلبه ليذهب إلى الفناء مرة أخرى .. ولم يمانع ... فقد ترك داخلها جزء منه سوف يحيا يوم ما مجدداً حياته ..

ذلك الجزء تركه داخلها عندما حلمت بفارس الأحلام الذى سألته عن إسمه فقال "زاى"

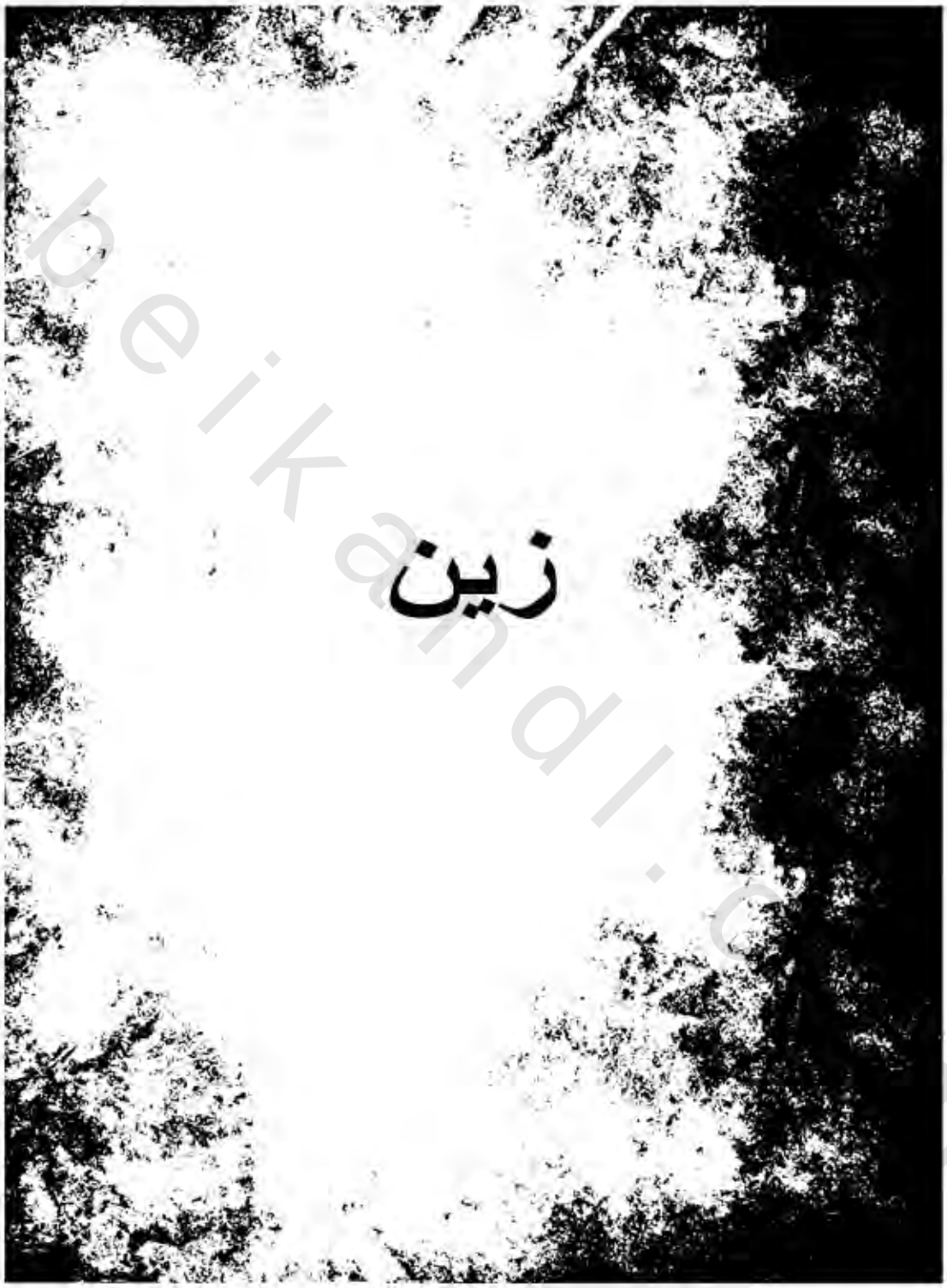
زین

تحاملت "هاجر" وسارت عائدة تحمل على كتفيها هموماً أكبر منها ..... لم تعد أدراجها إلى القرية .. بل إلى القاهرة رأساً .. حيث بقايا العائلة الشحيحة .. لن يستفسروا عن شيء ..... فالعلاقة منقطعة منذ توفيت والدتها .. هم بالكاد يعرفونها إسماً .. رجعت إلى خالتها "صفية"

فلن تتحمل سؤالا لا تستطيع الإجابة عليه ..

مضت الأيام كالحبلى تسير ببطء ورتابة ... الساعات تتآكل أمام التغافل تشعرها بالتوجس مما هو قادم مع الأيام .. أيامها قلب جريح ينبض دماً يوماً وراء يوم ..... مضت آلة الزمن وكان محركها عطب فراح يسرق من الساعات حلوها ... كانت تدرك أن لا تهمة طالتها ولا جريرة إرتكبتها ... لقد حلمت بفارسها الأبيض فقط كما تحلم كل الفتيات .. ولم تكن تعلم أنه من كون آخر .. ورغماً عنها وضع بذرته داخلها ..

تحددت لديها شارات رزوخ الزمن الثقيل ..... كان بيت خالتها فى القاهرة زنزانة أوت إليها مختارة .. أو تابوتاً تضع فيه حملها الثقيل دون تفريق لنورالصبح أوغبش الليل ...

سرق الفارس منها زمنها .. إقتحمها فجعلها خارج الحياة ... حولها الى نفاية يتقاذفها الإزدراء تشبثت بآخر هزيع من ليل عمرها .. والناس كعادتهم فى غفوة لا يريدون الإستيقاظ ..لا أحد يمد للآخر يداً ..

أعلمت الجميع أنها التزمت بيت العائلة فى القاهرة تلك السنة .. وأنها تزوجت من أحد الأقرباء وبعد أشهر مات تاركاً فى أحشائها حملاً .. والناس فى القرية تصدق كل الأقاويل سريعاً .....

كان هذا تعليلاً لعودتها وعلى ذراعها طفل رضيع ... ذا أشهر قليلة وضعته عند أقربائها فى القاهرة ..

كانت الساعة تزحف بتثاقل نحو الثانية بعد منتصف الليل ... أيقظتها الخالة "صفية" ... فقد كانت البارحة حلبة صراع فى المنزل أنهاها زوجها بحلف اليمين ألا تمكث "هاجر" فى البيت من الغد

فتحت عينيها ... تطلعت فى وجه الخالة .. هبت بهدوء حذر .. أمسكت الخالة بذراعها تساعدها حملقت بعينيها فى الوليد وقالت من بين دموعها : رعاك الله يا بنيتى ..

حزمت متاعها وحملته مع وليدها .. حملان ثقيلان على النفس قبل البدن ..

أمرالزوج العجوزالخالة أن تخلى إبنة أختها ووليدها من البيت فقد فاض الكيل .. وضاق بهما صدره .. هو أيضاً يشك فى سير "هاجر" .. ولم ير لوليدها أبّ ..

ليس أمام الأم الصغيرة غير أطلال بيتها بقريتها فى السويس .. أفلت عائدة .. تحمل هماً أكبر منهما .. ستعيش حد الكفاف .. وتحاول الرجوع إلى عملها الذى تركته فليس لها مورد غيره اللهم قطعة الأرض الصغيرة حول منزلها فىالقرية ..... وربما باعت البيت أيضاً وبحثت عن دار صغيرة بالإيجار ..

مبدأياً سوف تبيع الأثاث ... لتسد رمقها ربما أيام قليلة ... وفى ميدان أحمد حلمى برمسيس ألقت بشنطتها الصغيرة الثقيلة على نفسها فى خزانة متاع العربة التى ستوصلها إلى السويس أراحت ظهرها على الكرسى المكتنز فى الخلف ... فحركة الوليد سوف تورق من يجلسون بجانبها لو كانوا ثلاثة .. الكرسى الخلفى يسع إثنين .. وربما إزدراه الزبائن وبقى خالياً ..

لكنه للأسف شغل قبل المضى مباشرة .. جلس فيه رجل ذا سحنة غريبة .. لحيه كثّه متصلة بشعر كثيف تسللت إلى فوق أذنيه وتفشت فوق صدغيه الناقرين ... لكنه كان نحيفاً والحمد لله .. عيناه كانتا ضيقتان سوداوان تخبئان وراءهما ما لا يمكن للناظر سبره .. كعيون الغربان

تعوزت "هاجر" فى سريرتها وإستعاذت .. فقد ذكرها هذا بماض قريب لم تكن تريد تذكره ..

أزادت من إستناد ظهرها للمقعد وأسلمت جفنيها إنغلاقاً .. العربة تحركت لتوها .. والوليد نائم والشمس لم تسطع بعد .. فرصتها اليسيرة للإسترخاء ..

لم ترحمها الذكريات .. أتت تلح فى جلدها .. "كيف لم يحررنى الموت من هذا العذاب؟" قالتها فى خاطرها ضمن آهة خرجت منها .. وقال من إلى جوارها فى نفس اللحظة "الصبر على الأيام ظفر عليها وإنتصار" ..... كلمة عابرة تقال دائما .. يقولها المرء بغتة دونما موضوع أم ترى أنه قرأ ما فى عقلها وأجابها ناصحاً ؟؟!! ..

تفكير ساذج .. أسلمت جفناها مرة آخرى للغلق .. وعادت الذكريات للهجوم عليها ... طرحت حكاية "زاى" جانباً فقد أرقتها وحدها لأيام طوال .. وإحتفظت بالقصة فى باطنها .. لم تخبر أحداً ولو قالت فلن يكون هناك مصدق ..

تذكرت السنة التى عاشتها فى القاهرة عبئاً على خالتها وزوج خالتها الذان لا تربطها بهم إلا صلة دم قطعت منذ زمن ..

تذكرت عندما خطر لها خاطر ربما كان خبيثاً وربما كان فكرة مستحسنة ... او إحتجاجاً على مرور عربة الزمن من أمامها دون أن تقلها ولو لمسافة ما .... ألم تكن تحلم ان تركب قطار الحياة يوماً .. منع إشتغال أباها بالسحر عنها شبان القرية .. وهاهى الآن تحمل رخصة أرملة تعول صغيراً .. لن يتقدم لها رجل أبداً ...موقنة هى بذلك ..

لمن تهدر هذه الأنوثة ... لمن تبيع عمرها بلا ثمن ... لمن تتفتح الوردة .. هل خُلق جمالها لصحراء الذات البعيدة دون إحساس .. هل الأنوثة خلقت لخنقها خلف الأبواب .. أليس الذهب دائماً يعرض فى الواجهات ... أم يغطى ويدفن فى زوايا النسيان ...

كادت تستفيق من غمامة الهم الثقيلة و تتخلص من عناد الذكريات .. وتعودإلى أرض الواقع وهى تحاول جذب عقال عقلها لتنام الطمأنينة فوق رأسها المصاب بتأرجح التذكرالمزمن وسيرته الخبيثة .. لعلها تطلق أشلاءه المعصوبة بعبودية الجسد المقيت .... أو يحررها الموت طوعاً

طفحت سنين السجن داخلها .. لماذا كافأها الزمن بهذا الهدر .. غداً ويا لقساوة الغد .. يتهدل الجسد وتغور الأعين ... ويُمسخ الجمال وتترهل الأفخاذ وتتخشب الشفاه ..... وتستتر الأنوثة

على حساب من ...؟ وهل الزمن يرأف بما يحصد ويفنى ... أتكون حياتها منحصرة فى المسخ "زاى" او حلم فارس الأحلام الكاذب المراوغ .... أم أن الحياة تبكى على شىء مهدور ...

فتحت عيناها عنوة ... صراخ وهرج بالعربة ... سنة من النوم ألقيت على السائق ... كاد أن ينزل بهم إلى صحراء جانب الطريق .. حينها حتماً كانت العربة لتنقلب ... ولحظت شيئين .. إعتدال العربة فى الوقت المناسب .. ربما لتيقظ السائق فجأة ... وذلك الوميض الذى مر من جانبها نحو مقدمة العربة .. أيكون مصدره عين الجالس إلى جوارها من بداية الرحلة ..؟؟؟

أم أنه وهم صنعته الأحداث التى مرت بها فى الماضى فأصبحت شبه مجنونة كما يقولون عنها والواقع أنها كانت شبه عاقلة .. هى تعلم هذا عن نفسها .. لكنها تحاول المقاومة ....

اعتدلت فى جلستها ثانيةً .. فالصغير مازال نائماً رغم الأحداث .. تداعت صور الحياة أمامها جاءها فى القاهرة عريس من بين تلا فيف البحث ... فخالتها مهتمة كالنساء .. وزوجها يريد من يحمل هذه البلوة بعيداً عنه ..

رضى بها ... ومن ذا الذى لا يرضى بهذا الجسد المتسق الذى يفيض أنوثة .. رضى بالوليد مرغماً ..

ولكن ما بالها ترددت أمام الموافقة .. ألا يعجبها .. إنه على وسامة لا بأس بها .. أعزب ... وموظف ... ولديه سيارة ومن عائلة معروفة ... لماذا ترددت بالجواب وظلت منكسة الرأس لا ترى أحداً وحين قدمت فنجان القهوة إهتزت يدها وكادت أن تسقط .... لم ترتعش أو تهتز أو تترنح من الخجل كعادة الفتيات ... لا ... وإنما ... شيء ما فعل هذا ..

سمعت صوت أباها الحاج "فتحي" يصرخ في داخلها .. لا يوجد مصباح في العالم يمكنه إنارة الطريق أمامها .. مخيرة هي الآن أم مازالت مسيرة .. تحت وطأة ما لا تدري عنه شيئاً .....

كانت ستوافق حتماً رغم ذلك الشيء في داخلها يمنعها .. حتى ولو كان إرغاماً من الأهل الذين يريدون نزعها من فوق ثاقلتهم والتخلص منها ... لكن الأمر قد حسم من نفسه ... فالعريس المتيم لم يأت ثانية .. رغم المساعي والإستفسار .. ولسبب .. لم يقله ..

ظلت السيارة ولدقائق تسير بمحاذاة جانب الطريق ببطء متناه كسلحفاة أباها العجوز "عيشة" التي سربها من المنزل إلى المزرعة قبل أن يغادرا البيت للجبل .. مما أزعج تفسيرها لذلك الموقف .. هل كان يعلم أنه لن يعود من الجبل ..؟!

أزاد من إنزعاجها إلحاح الركاب على السائق بالإسراع .. وعلى الرغم من أن عقلها كان بعيداً عنهم .. سارحاً في الملكوت غير عابئة بالأمر .. ولم تنتبه بالضبط لما كانوا يقولون إلاّ أنها خمنت أنهم قد ضاقوا به زرعاً ويريدون إستبدال العربة بأخرى من على الطريق .. يحثونها على مرافقتهم ربما عطفاً وشفقة بالوليد ..

تلك العاطفة التي ذهبت أدراج الريح جرياً وتسابقاً على المكان الشاغر في العربات التي تتوقف رهناً لإشارات أيديهم .. حتى لم يتبق على الطريق غيرها .. وذلك الرجل النحيف الغريب ..

صبراً .. قريباً تقف عربة فيلحق بها .. وتنتظر هي أخرى .. ستقلها مجبرة بعد سويعات ....

تعبت وأرهقها الوقوف .. ووليدها النائم إلى الآن مستكيناً.. سكون الموتى .. قربت وجهها منه تتحسس أنفاسه لتتأكد .. فى تلك اللحظة دوت فرملة طويلة .. ودعاها الرجل الغريب للركوب فلم يكن بالعربة التى توقفت سوى مكان واحد ... شاغر

العربة كان بها ثلاثة رجال والسائق .. وكانت من تلك التى يركبها خمسة فقط .. سألوها وقالت :
إنى ذاهبة إلى عتاقة ..... وردوا فى نفس واحد .. : إنه طريقنا .. وكأنما كانوا قد جهزوا إجابتهم من قبل على أطرف ألسنتهم ..

سرت لهذا .. فلن تضطر لركوب عربة أخرى من السويس إلى القرية .... فقط ستمشى قليلاً لتصل إلى البيت .. فتوفر قروشاً قد تنفعها ..

لفحتها عذوبة الهواء والسيارة تدخل أول منعطف .. رطب وجهها نسيم ما بعد الشروق العليل فدمعت عيناها وإنتعش قلبها بنسيمات الخريف الناعمة الرقيقة ..

وما دام الإنهاك لم يهد مفاصلها بعد فستواصل السير بعزيمة ودونما كلل ... إنه قدرها الذى لا فكاك منه

وأهل القرية المتطفلون دائماً للوك سير الناس .... ليعتقدوا بما يشاؤون فما عادت تهمها كل أعتقاداتهم ... ماعاد يهمها سير ركب الحياة أصلاً .. عادت إليهم إنساناً آخر سيتذرع باجتناب الجميع قبل أن يجتنبوه ..

مضت السيارة في طريقها تتهاوى فى سيرها كحمار أرهقته الأحمال .... بينما أخذها حلمها بعيداً وحلق بها عالياً ... ستعيش ووليدها متمتعة بالوحدة التى طالما كرهها الناس .... هذه الوحدة هى ما تحتاجها وترنوا إليها .. ولتفعل الأقدار ما يحلو لها ..

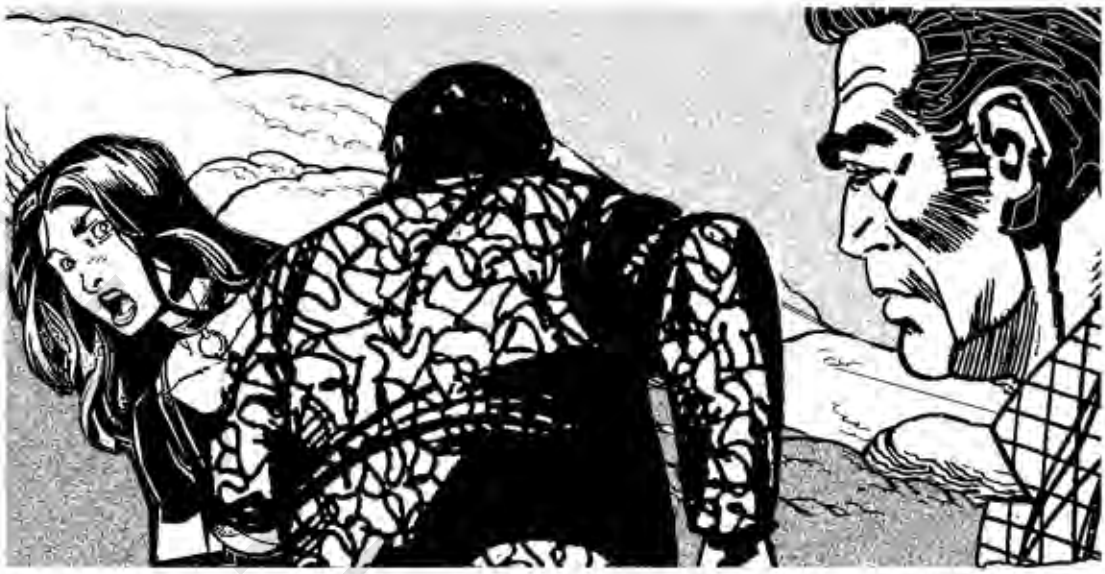

لاحت منذنة مسجد القرية شامخة وبانت أغصان الأشجار المتعانقة.. وظهرت البيوت الحجرية العتيقة متناثرة على امتداد المساحة الخضراء المترامية الأطراف .. جالت بنظرها بين الوجوه الراكبة فى العربة ولم ترتاح إلى تلك القسمات ..

ما لبثت العربة أن حادت عن الطريق ودخلت فى منطقة هيش مهجورة عبر طريق ترابى غير ممهد .. أوصلهم إلى جانب غير مرتاد من مقابر القرية ... وهناك توقفت العربة ونزلوا منها جرها أحدهم من ذراعها وعلى وجهه شراسة وقحة تعافها الضوارى ..

قال تعال يا حلوة .. تمسكت بوليدها الذى فتح عينيه لتوه .. إنفلت الوليد وسقط أرضاً .. صرخت قهقهوا و قال أحدهم : ليمت الآن ويوفر علينا العناء .. أما أنت فتعال لتعيشين فى أحضانى

إستعد وحش منهم لركل الوليد بقدمه .. سيشوط البنالتى فى المرمى .. وفعلاً .. فعل ... لكن بساق ميتورة حالاً .. شاط الخواء بساقه التى لم تعد موجودة .. صرخ صرخته الأخيرة .. فقد إلتوى عنقه أيضاً وفارق الحياة .. الثلاثة الآخرين فى نفس اللحظة أصابهم ما أصابه .. إرتموا على الأرض سوياً وأعناقهم مكسورة فى عنف .... إختلاف واحد فقط ... من كان يجر "هاجر" بيده كان ميتور الذراع ..

العجيب أن لم تسمع بكاء الصغير .. إحتضنته فى صدرها .. لم تسمع له نفساً .. هادئ هو إلى هذه الدرجة أم أنه قد قضى نحبه .. حمدت القدر .. عيناه قالتا أنه مازال حياً .. ذلك الوليد الذى كان سبب نكبتها .. ذلك الوليد الذى أقحم نفسه على حياتها من خلال حلم حلمته ..

ذلك الوليد الذى لا تعلم من هو أباه بالضبط .. لكنه أحال حياتها إلى جحيم مطبق ..

كان حرياً بها أن تدفع به إلى القبر حال ولادته .. لكنه جزء منها .. أطلقت زفرة ألم وعضت أصابعها حسرة وهى ترتاد الرمال لترتقى إلى الطريق مرة أخرى .. ضج دماغها وتشبع خيالها هزيانا وتيها .. من أودى بحياة الاشرار بهذه البشاعة .. لاتعلم .. بل هى لا تريد أن تعلم ..

بعد ثلاث ساعات وصلت قريتها التى تتوضع بمهابة على حافة سهل كانت تراه فيما مضى جميلاً .. ذلك قبل أن تختزن أعماقه أسرار وتفاصيل غريبة لا تصدق وقبل أن تشرف على أرضه الواسعة بطيب هوائها ومياة البحر الرقراقة أنفاس المجهول .. يتهادى الموج إلى الرمال و الصخورليعزف سيمفونية رائعة وتطل صخور جبالها على القرية البائسة ...

أخيراً .. خطوات وتصل بيتها .. ميراثها من أباها .. كل ما عادت تملكه فى الحياة

لكن ما الذى حدث فى السنة الماضية .. المزرعة جدباء أحاطها سور منيع من الأسلاك وبعض الطوب اللبن .. لم تهتم كثيراً ... صعدت الدرج اليسير وفتحت الباب العتيق بمفتاحها .. فبالطبع كان فى متاعها عندما تركت وأباها البيت آخر مرة .. كان بشنطة متاعهما إلى الجوار مع قلب "زاى" الذى إسترده ثم نزعته هى من صدره إنتقاما لقتل والدها .. كم تكره هذا الكيان المبهم ..

دخلت البيت .. كان كما تركته منذ سنة وبضعة أيام .. إلا من بعض تراب الزمن جهزت ما إستطاعت من سبل حياة فقيرة أعدت نفسها لتقبلها .. الوليد عنده غذاءه فى صدرها .. لكنها هى الجائعة .. لا أحد فى الجوار .. البيت منعزل .. ولن تتسول من أحد حتى لو ماتت جوعاً .. ما هذا الذى تسمع .. خوار بقرة إلى جانب البيت

أراحت الصغير ونزلت وفى يدها أول إناء وصل إليه يدها .... فلوغادرت البقرة لن تجد ما يسد رمقها .. إقتربت منها فى مهل وحلبتها شاكرة ..

فى غرفة الكرار بالطابق العلوى من المنزل أثارت إنتباهها حركة مريبة خلف النافذة .... إقتربت بحذر منها .. وما أن رفعت الستارة الرثة عنها حتى طارت حمامة مذعورة بعيداً فى الهواء ... ثم ما لبثت أن حطت على سطح المنزل آه .... لقد عششت تلك الحمامة هنا أثناء غيابها وخلفت بيضة .. أخذت تتأملها ساكنة لوهلة ثم عادت لتجلس إلى جانب وليدها

دسّ الوليد رأسه الصغير في صدرها يرشف الحنان .. بينما تواصل هى إجترار الذكريات وتمسّد شعره الناعم .. وسرعان ما سمعت رفرفة الأجنحة .. عادت الحمامة إلى النافذة بعد أن اطمأنت عادت إلى عشها لتحضن بيضتها أو لتضع البيضة الأخرى فعادة تضع الحمائم بيضتين فى كل مرة .. ماأشد تشابه الحيوات ..

ظلت "هاجر" تتردد على تلك النافذة تراقب الحمامة التى إعتادت إقترابها المسالم ولم تعد تفزع لمرآها .. وأحياناً كانت تجد البيضتين فقط وقد تغيبت الحمامة لتحمل بعد برهة شيئاً من القش أو الغصينات تنسقها فى عشها .

وفي المساء كانت تتابع نشرة الأخبار التى يبثها التلفزيون العتيق وتوالت الأنباء من جميع الأنحاء .. فيضانات مروعة تجتاح أفريقيا التى أنهكتها المجاعة والحرب الأهلية وقتل المئات مذبحة جديدة تقترفها الجماعات المسلحة فى الجزائر .. ذهب ضحيتها مئات القتلى فى قرية واحدة ... المئات يموتون يومياً في العراق بسبب الحصار ونقص الغذاء والدواء .. زلزال فى أندونيسيا.. أيكون قوم "زاى" قد زاروا تلك المناطق .. هم يتواجدون ساعة الخطب ؟

فى اليوم التالى حملقت أعينها فرحة .. البيضة تفقس .. الفرخ يكسر القشرة برأسه .. بمنقاره الصغير .. يخرج منها بصعوبة ... لم يقم أحد بتعليمه .. إنما هى غريزة الحياة ..

نظرت بإشفاق لهذا المسكين ما أضعفه .. ما أصغره .. ما أشبهه بوليدها الواهن .. ما أملس جسمه العارى من الريش ..

لم يخرج من البيضة تماماً .. إرتمى بنصف جسمه على الأرض .. لا يتحرك ... هامد ساكن أنه ميّت... يا إلهى .. أين أمه ؟ ماذا يمكنها أن تفعل ؟ مدت يدها تبغى مساعدته ؟ .. لكن الأم جاءت .. سحبت يدها بسرعة .. خافت أن تجزع الأم وتهمل الصغير ..

عندما أويت إلى فراشها تلك الليلة محتضنة وليدها لم تستطع النوم .. فقد كانت الحمامة فى النافذة العلوية تنوح نوحاً شجناً بلا إنقطاع .

تذكرت ماض كرهته .. نقاشات عائلتها بالقاهرة ..

"ألم تلد هاجريعد ؟ .. ألم يسأل زوجها أن كان هناك زوج ؟ .. هذا أسبوعها الأخير .."الخالة وزوجها يتساءلان كثيراً .. يلازمانها كالظل .. يتشككان فى رواياتها ..

رد الرجل بصوت خشن يخالطه التجهم .. وضعها محير وحكاياتها متضاربة ..
وتقول الخالة : ماذا يدور فى رأسك؟ فيرد عليها : ما من شك هذا الوليد إبن سفاح ..

لم ترد "هاجر "تابعت الحياة وكأنها لم تسمع .. لم تكن مستعدةً لكشف أوراقها وفضح ما آل إليه المصير .. فلن يصدق أحد روايتها الحقيقية .. فكرت قبلاً أن تتخلص من الحمل فى أوله كثيرات يفعلن هذا .. لكنهن مجرمات ..

صحيح أنها ضحية .. طفلها ينمو داخلها بصورة طبيعية ... عاطفة الأمومة سيطرت عليها .. أبداً لن تنزع عن الطفل حياته .. لا ذنب له ..... ولا لها .. وكل جهد يهون مقابل النيات ..

سكنت حركة الطفل وتوجسوا أن مات داخلها .. فرحت الخالة وزوجها .. أما هى فبكت بكاءً مراً .. كانت تنوح كنوح الحمامة فى الشباك العلوى ..

قال الطبيب : إصبرى وإبتعدى عن الإجهاد والتوتر .. كيف تصبر وقد تحدد مصيرها ؟! أضاع جنينها حقاً ؟ بالأمس كانت بكراً فمتى لحقت بها دودة البغى بهذه الشراهة فنزعت منها كل تفاؤل بالحياة وأبقت لها أفكاراً غائمة تتصارع في مخيلتها .. لا تعرف كيف تميزها أو تفسرها أبداً .. الشك والعار يلاحقانها ..

عليها أن تسرع الخطى لتصل قبل أن تخور قواها فتقع ... وقبل أن يعاودها الخزى فيلازمها طويلاً .. يجب أن تترك بيت خالتها بأسرع ما يمكنها .. وسوف ينسون .. ويطوون صفحتها

تصل بيت أبيها فى عتاقة لتبدأ الكذب من جديد .. فتقول أنها تزوجت وأنجبت ومات زوجها فى السنة الفائتة ..

ما حدث أفسد طموحها وآمالها فى الحياة .. لكنها ستبذل ما لديها من طاقة لتنفيذ ما عزمت عليه .. سيحيا الطفل رغم أنف المكان والزمان ومن يعيشونهما ..

بهذا وحده تحقق إنسانيتها وتشعر بالراحة .. الإصرار سيخفف عذابها .. لولا هذا الإبن ما عادت وإن كان هو مصدر كل معاناتها .. لم تتوقع أبداً أن تكون حياتها هكذا خالية الوفاض من كل شىء .. إلا إبن بلا نسب ..

لاح بصيص نورالفجر وبدأت النجوم تستتر لاحقة بالليل المسافر .. سكت صوت الحمامة فى الشباك العلوى .. لابد أنها إستسلمت للواقع .. وصدقت موت فرخها الوليد ..

كل شىء بدا واضحاً .. بكت هاجر أيضاً .. لن يفلت أحد من مصيره .. صعدت الدرج .. كشفت الستارة الرثة عن الشباك .. كانت الحمامة توكل وليدها أول لقيمات عمره .. لقد تحدى الفرخ الموت وآثر الحياة ..

ليتها تجد"زاى"هذا مرة أخرى لتنهشه .. أحبها وأعطاها نذالته وخسته وكان وراء موت أباها طمع فى إستعادة قليه ليحيا وتشبث ببناء جسده على حساب أجساد الآخرين .. ثم أهداها هذا الوليد .. رغماً عنها .. ومعه الخزى والعار .. لكنه فى النهاية إبنها ..

كان من المحتم نزولها إلى شوارع القرية معلنة مجيئها ومعها طفلها .. ولتشترى بقايا قروش معها زاداً تأكله .. صدق الناس روايتها سريعاً .. إقتضبوا الكلام .... لم يسألوا عن المرحوم والدها الذى وافته المنية بالقاهرة كثيراً ..... وربما أراحهم موت الرجل الذى توخى الأعمال وطقوس السحر .. العجيب أن أحداً لم يتذكر أيام سوداء مات فيها من مات وتحول لونهم فيه للون البنفسجى القاتم .. وقارت الأرض تأكل من عليها منهم ..

الخير الآخر الذى كان يخصها .. أن المرحوم والدها كان قد باع مزرعتهم الصغيرة حول المنزل إلى "المنياوى" عمدة القرية بالإجبار .. فلم يكن هناك منصباً يحمل هذا الاسم .. لكنه كبيرهم وأغناهم مالاً واكثرهم عزوة ..

فهو قادر على حرق المحاصيل وقتل المراوغين وتسليط ذوى السطوة من رجال الحكومة عليهم ولكثرة أعماله الشريرة إنصاع له الجميع وكان هو اليد التى لا يقدرون عليها وعليهم تقبيلها

ذهبت "هاجر" إليه وفاتحته فى أمرالمزرعة فاجابها بطيبة مصطنعة وحلف لها أن أباها قد باعه المزرعة ... لكن الأمر لم يستوى مع تأكيد "هاجر" بأن هذا لم يحدث ..

عندئذ إنقلبت سحنته وكشف عن وجهه الخشبى و أبرز أوراقه التى إدعى أن أباها باعه بها الأرض منذ مدة وإستلم المبلغ كاملاً وعرض عليها ورقة البيع والشراء ممهورة بتوقيع أباها ومذيلة بشهادة "حمودة الطناحى" و"سعدون الناجى" وإشراف المحامى"عوض السنهورى"

كانت تعرفهم بالطبع .. فهم من حثالة القرية شاهدى الزور .. ضاعت المزرعة الفقيرة أيضاً

أزعنت وصدقت على كلماته مرغمة غير أن الحيرة لازمتها .. الحيرة فى النقود فمتى أخذها أباها وفيم صرفها ؟! وأقسمت أنها لم تسمع عن البيع شيئا ولم تر مليما واحدا .. خاصة وأن والدها لم يكن ليخفى عنها أمرا مثل هذا ....

عادت أدراجها حاملة صغيرها إلى بيتها الفقير .. لا عائل لهما يمدهما بلقمة عيش .. فى السوق شاهدت ذلك الرجل النحيف غريب الهيئة الذى ركب معها عربة الأجرة وفارقها على الطريق يبدو أنه من أهل القرية .. أو ربما كان زائرا .. لم تعط للأمر بالا فهو لم يشهد المعركة التى دارت ناحية المقابر ..

نظرت الخبز المعروض باشتياق عند الخباز .. كانت جائعة .. لكنها آثرت الإحتفاظ بقروشها فقد إنقطع عنها المدد نهائيا .. حتى مزرعة البيت أخذت منها .. وربما إستعانت بما معها من قروش لتركب مواصلة إلى السويس ساعية لأى عمل ترتزق منه .. ناولها الرغيف الذى نظرته كان هو ذلك الرجل النحيف ذا الهيئة الغريبة .. هزت إليه رأسها وعلى وجهها إبتسامة شكر تعففا .. أصر على موقفه .. زجرته فهى لا تريد إحسانا .. وألقت بوجهها إلى الجهة الأخرى

سمعته يناديها .. قال بنيتى أنا عمك الحاج "عرفة" ألا تتذكرينني .. إلتفتت ثانية .. كان من يحدثها هوصاحب الفرن وليس الرجل الغريب .. تلفتت يمنة ويسرة ولم يكن الغريب موجودا على مدى البصر .. قالت لصاحب الفرن الذى كان صديقا لوالدها : أين ذهب الرجل الذى ناولنى الرغيف .. همهم الرجل مستغربا وقال : لم يكن أحد هنا غيرنا .. أنا وأنت فقط ..

تناولت الرغيف وأخرجت من جيبها ثمنه .. رفض الرجل رفضا باتا .. تركته ومضت شاكرة

فى نفس اليوم إنقلبت سيارة فى حادث أليم وطارت روح المحامى "عوض السنهورى" إلى السماء ... بينما سقط "سعدون الناجى" من شرفة منزله مباشرة على رأسه فشجت .... أما "حمودة الطناحى" فقد وجد فى بئر الساقية العتيقة ميتا ..

وجاءها "المنياوى" راكعاً يستسمحها ويمزق عقد البيع المزور .. تهته وقال أن روح المرحوم الحاج "فتحى" قد أتته فى المنام وأمرته بهذا .. لم تصدقه "هاجر" بالطبع لكنها قبلت الأمر

استقبلها بعض أهل القرية بترحاب مصطنع وأمطرها آخرون بالقبل على غي المتوقع ومعها أسئلة لحوحة مستغربة :
.. أين كنت ؟ ماذا فعلت ؟ ؟متى تزوجت ؟ كيف مات زوجك ؟ مع من كنت تعيشين ؟ .....
لم تنبس بحرف حقيقى إكتفت بالتطلع إلى وجوههم الصفراء المتطفلة وموجز من الأكاذيب المقتضب .. تعجبوا غاية العجب عندما أخبرتهم بموت والها فى القاهرة ..

قالت "سنية" إحدى زبائن والدها فى أعمال السحر هامسةً : أنا أرى والدك الحاج فتحى كثيراً يأتى من صوب الجبل ويمشى فى الشوارع .. لكنه لا يرد على أحد .. وهمهمت معها النسوة الحاضرات مؤمنة على كلامها .. البعض يظن أنه لم يمت وهناك الكثير من الشائعات عن رؤيته فى عدة مناسبات ..

بهتت .. تطلعت إليهن بعينين ذاهلتين .. تحركت شفتاها وإنفرج ثغرها لتنطلق منها كلمة مدوية لقد رأته بعينيها ميتا .. لكنها سكتت .. فالغرائب عادت طبائع بالنسبة لها ..

ولأنها أكثر الجميع معرفة بالقرية تعرف كل شيء عن أحوالها ... ناسها وبيوتها .... أزقتها وشوارعها .. أعشابها وأشجارها .. حصياتها وصخورها .. أوديتها ومنحدراتها ومرتفعاتها تركت طفلها نائماً فى السرير..عاينت المكان وتفحصت الأرجاء ثم صعدت إلى أقرب تل ومن قمته ألقت نظرة على الجبل والتلال المجاورة .. بقيت ما إستطاعت هناك وفى رأسها أمل ... لم تترك المكان إلا بعد أن إستعدت الشمس للمغيب .. فالوليد الذى أسمته"حسام" فى المنزل وحده ..
رجعت للبيت .. إرتقت السلم اليسير .. وعند الباب كانت هناك حصيرة وعليها أطباق .. طعام طازج لم يزل البخار يتصاعد منه ..

قد يكون الفاعل إحدى نساء الجيران .. على سبيل الكرم .. لكن الكرم هذا لم يكن معهوداً من أحد .. علاوة على أن الطعام الموضوع كان كله مما تحبه وتفضله من أصناف .... وكأن من طهاه هو أبوها الحاج "فتحى" كما كان يصنع فى حياته ..

أكلت .. وتقلت معدتها .. أرضعت الصغير الذى لا يبكى أبداً .. أراحت رأسها .. أسدلت جفنيها وفتحتهما ..

أمتلأت الحجيرة بأناس آخرين .. ماهذا ؟...أكتاف الآخرين تقتحم عظام كتفيها وأنفاسهم تكاد تخترق الآذان بصوت فحيح ورائحة عطنة

نظرت إلى قدميها تريد أن تتحرك ولكن من أين تجد مساحة الحركة .. رفعت رأسها لأعلى ربما وجدت قليل من الهواء ينسل من النافذة .. لكن الجدران أصبحت صماء يسيل عليها سائل لزج .. والضوء شحيح بالكاد ترى عذاب تواجدها مع أشباح تتزاحم فى الحجرة .. تجول فيها الهوينى وتنظر إليها بعيون باردة كالثلج صماء كالحجر منزوعة الروح ..

صرخت ماذا تريدون منى لماذا تزاحمون أنفاسى ؟ .. كيف تسلبون هوائى الذى أتنفسه؟ ... ولم تسمع مجيباً .. زاد التدافع وتطاحن الأكتاف .. وأصبح الهواء دخل صدرها محض كرابيج إفعوانية تلهب قلبها .. تصبب العرق من جسدها .. لم يجد مكانا يتساقط فيه ..

برزت من وسطهم عجوز شمطاء قالت لها .. : إعتنى بإبننا "زين "هو منا وله عندنا الكثير

ظل العرق المحمل بكل الهموم متشبسا بجسدها وزاد إندفاعه حتى تهاوت من فرط ثقله ..... صرخت بأعلى صوتها تستنجد .. ولا مُغيث..

سمعت صوت طقطقةعظام جسدها وهى تتحطم وقرقعة بقايا تُطحن .. تركتها الأشباح إلى نفق مظلم ظهر فى جدار الغرفة .. بدا عن بعد فى النفق وشوشات ضوء قادم ..... و هيئة كهيئة أباها .. لكن الصوت .. كان صوت "زاى" .. كان يقول "زاى .. زاى" .. تأملت الكلمة جيداً ... لم تكن "زاى" ... كانت "زين" ..

تذكرت ذلك الإسم ... "زين" لقد إقترحه وإستحسنه الجميع عندما ولدت الطفل .. لكنها رفضت الإسم لأنه عتيق عفا الزمان عنه .. وفضلت أن تسميه "حسام"

فتحت عيناها ونفضت عنهما الكرى فقد كانت على الأغلب تحلم ... كادت أن تهم من مقعدها بعد أن تصورت حلمها للحظات لكنها أنتبهت .. ليد الصغير التى أمتدت لتعانق يدها فى رقة

أختلست النظر إليه .. وقلبها تتسارع دقاته .. مرت اللحظات مرتابة فقد لحظت فى عينا الصغير أكبر من أن تكون نظرته .. تلمست شفتيه .. فإندفعت من بين ثنايا وجهه إبتسامة شقت غمام الحزن الذى لفها منذ جاء إلى الدنيا ..

هل يمكن أن تمد مخلوقات الأكوان يد المساعدة لغيرها من المخلوقات الحية دون أن يروها هم جزء من الطبيعة التى لا نعرف عنها إلا القليل .. و كما تساعد غيرنا تساعدنا الطبيعة ...

هل مات "زاى" وهل مات أباها حقاً و هل "هاجر"مازلت حية ..؟ .. أسئلة نسبية تحير عقل الإنسان القاصر .. وهل الموت فناء أم أنه مجرد مرحلة من المراحل ..؟

الموت هو حالة توقف المخلوقات عن النمو والنشاط الوظيفى الحيوى كالتنفس والأكل والشرب والتفكر والحركة فلا يمكن للأجساد الميتة أن ترجع لمزاولة النشاطات والوظائف الآنفة .... الجسد يبلى ويزول .. لكن ماذا عن النفس .. ماذا عن الروح .. ماذا عن ما لانعرفه ... ؟؟؟؟

تركت وليدها ذا الأشهر الثلاث وذهبت ثانية إلى الجبل ... لديها قناعة فى أن تلتقى المجهول هنا البداية وهنا تكمن الأسرار ..

قبل أن يتهادى نسيم الجبل ليداعب خيالها .. ويهدىء من روع ولهفة قلبها المُلتاع .. تراءى لها طيف أباها .. قال لها : "إطمئنى على زين" .. لم تر مخاطبها .. لكنها تدركه إدراكا فوق حسى ..

فهى عالمة فزيائية سابقة .. تعرف أن ما تمر به هو حالة من الإدراك العقلى وتأثيرمادى على الأجسام الفيزيائية دون تماس مباشر معها أو إتصال عن طريق وسيلة ما غيرمعروفة بشكل تام للعلم المدون المعترف به .. وهو يمثل قدرة للنفس موجودة عند كل المخلوقات ولكن بنسب متفاوتة .. وتقبل الإنماء بالتدريب .. وإن كانت غاية فى الصعوبة .. إضافة إلى أنها تؤثر فى المخ سلبيا ..

أما الاشباح وقدراتها فهذا يكون نوع من التحريك العقلى ذا تأثير مباشر"من البيئة الى العقل" وهذه القدرات مجتمعة يشار لها عادة بإسم "بسيونيك" ... أو "الساي ثيتا" .. بمعنى الظواهر الروحية .. والإثبات العلمى لهذه الأبحاث محل نزاع وجدال ونقد دائم ... اذ انه لا يعتمد على الماديات ... لكنه موجود ..

رجعت إلى المنزل منهكة العقل .. مهزومة التفكير .. لتجد إبنها "حسام" هادئ كعادته .. لكنه لم يكن فى المكان الذى تركته فيه ... كان متوسداً الأريكة فى صالة المنزل .. هل حبا الطفل مبكراً ووصل إلى هنا ؟! غير معقول .. هل دخل شخص للمنزل ونقله من مكانه ؟! .. تفحصت مزلاج الباب والشرفات .. كانت مغلقة كما تركتها .. لا سبيل إلى إيجاد سبب مقنع ...!!!

سكتت .. فلا أحد تناقشه الأمر .. أو يشاركها التفكر .. إعتادت خوض العجائب ... والأمرحتى الآن قيد التحكم .. لكنها أيقنت أن هناك من يعتنى بالطفل معها .. أو على الأقل يحرسه ..

لم يكن ما يورقها رقة حالها وعوزها .. فالرزق متاح إلى حد معقول .. ولن تمد يدها إلى الناس أبدا .. ذلك الرزق اليسير الذى يأتيها من دابة ترعى بالقرب من بيتها فتأخذ من لبنها رشفات أو طعام تجده بالباب .. أو نبتة لم تنبتها يدها تجدها بمزرعة البيت فتأخذ منها حبوباً تقتاتها فلاعمل لها .. ولا تستطيع ترك إبنها وحده فى الدار ..

بدأت الألسنة تلوك سيرتها .. طبع القرويين .. لا يتركون أحداً فى حاله .. الإتهامات المتناثرة من أفواههم والترهات المنطلقة منها .. تحمل فى طياتها تهم الخداع والسحر ونفث الأعمال السفلية .. حملوها كل ما طرأ عليهم من محن .. كما كانوا يحملون أباها فيما مضى .."فلانة" طلقها زوجها لأن "علانة" إستعانت ب"هاجر" لتعمل لها عملاً ..... و"ترتانة" مرضت لأن "هاجر" أصابتها بلعنتها ..

وكطبع القرويين .. تجمعوا على باطل ظنوه حقاً مطالبين بطردها من القرية أو قتلها ووليدها وفى ليلة مقمرة .. أشتدت فيها رياح الليل .. طار الهدوء مع غضباتهما المتطايرة هنا وهناك أتوا إليها وفى أيديهم الهراوات .. هاجموا الدار .. إستسلمت "هاجر" لقدرها .. لكن يجب أن تموت قبل المساس بولدها .. ركنته فى زاوية المنزل وخرجت إليهم ..

"المنياوى" عمدة القرية يصرخ فيهم ألا إبتعدوا عنها فلا طاقة لكم بها .. أبداً لم يتراجعوا .. هجم أولهم عليها فضربها بهراوته .. طاشت الضربة وأتت على من كان إلى جواره ... هجم آخر وتعثر فى حجر فوقع وإصطدمت رأسه بعتبة السلم الحجرية .. لوّح آخر بشعلة نار كانت فى يده فسقط منها مارج أحرق ثيابه وكادت تمسك به النيران ..

تراجع الأغبياء وأثروا ترك المكان .. لكنهم لم يعقلوا الأمر حق التعقل .. حسبوا أن ما لقيهم من قبيل الصدفة .... عادت الأم المقاتلة إلى داخل الدار لتجد إبنها "حسام" ذا الأشهر القليلة جالساً وعيناه حمراوان تقدحان ناراً .. لم يكن سنه الصغير يسمح له بالجلوس هكذا .... لكن الأمهات تفرح وتصدق أى تقدم فى حال أطفالها ..

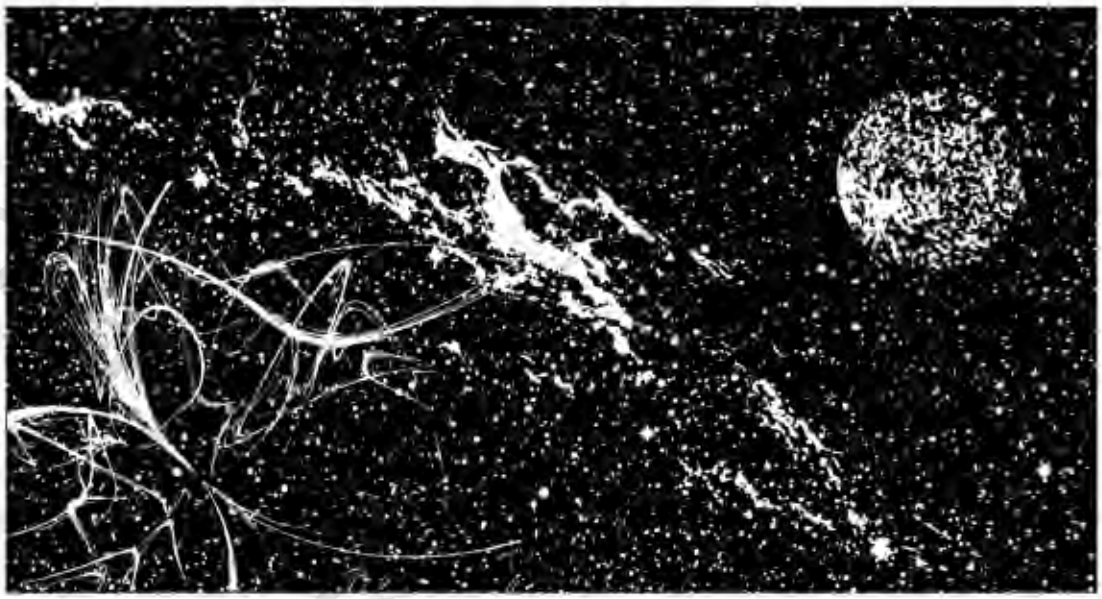

المجهول الذى نعيه ونخافه .. نتحدث عن الرعب الذى يوجبه المجهول .. عن الجانب المظلم من القمر والناحية الأخرى من الباب المغلق .. نتحدث عما ينتظرنا في زاوية المنعطف وعن غريب يقرع الباب بعد منتصف الليل ..

نتحدث عن سبب عواء الكلب متحولا من النباح وعلاقته بالموت القريب وإنتصاب شعر القط الذى يمتلك من الأرواح سبعا .. ونهيق الحمار فجأة .. ونقول أنه يرى شياطين الجان ..

نتحدث عن أسرار منسية وفنون باندة يتداولون سرها همساً ... نتحدث عن طقوس غامضة وقلاع مهجورة .. نتحدث عن كتب كانوا يحرقون من يمتلكها وعن أشياء لا إسم لها ومجربات غريبة مصدرها مخطوطات قديمة كتبت بخط اليد .. مدادها الدم والمسك والنجاسة أحيانا ...

نتحدث عن هذه الأسرار الرهيبة وعن الذين كتبوا عنها أو صوروها أو حكوها بالأفواه .. والحق أن ما ندعوه بالشعوذة لم يأت من فراغ .. هو كالشائعة لابد لها من وجود أساس من الصحة

الغريب أن تتجمع هذه الأحداث فى مكان واحد وكأنك يمكن أن تحتوى خيال الإنسان وكوابيسه ومخاوفه فى زمكان واحد .. وعبارة الزمكان هى المكان المرتبط بالزمن .

والحياة يمكنها أن تمنح أحياناً فضاً للأحداث الكونية بكل ما فيها من إثارة وخيال ... فنعطينا وعداً وتفى به .... لكننا فى الحقيقة نبخسها حقها .. فالحياة ليست كوناً واحداً بل أكوان يعلم عددها من خلقها ..

صحيح أن عقولنا لا تستطيع إستيعاب كل هذا الخضم الرهيب .. لكن يكفينا التفكر فيما يتأتى من الظواهر .. مع إقتناعنا بعظمة وضخامة ما نحسه من كون نمثل نحن فيه حجما لا يستحق الذكر من فرط ضآلته .. فما بالنا بالأكوان الأخرى التى لا تداخل لنا معها ..

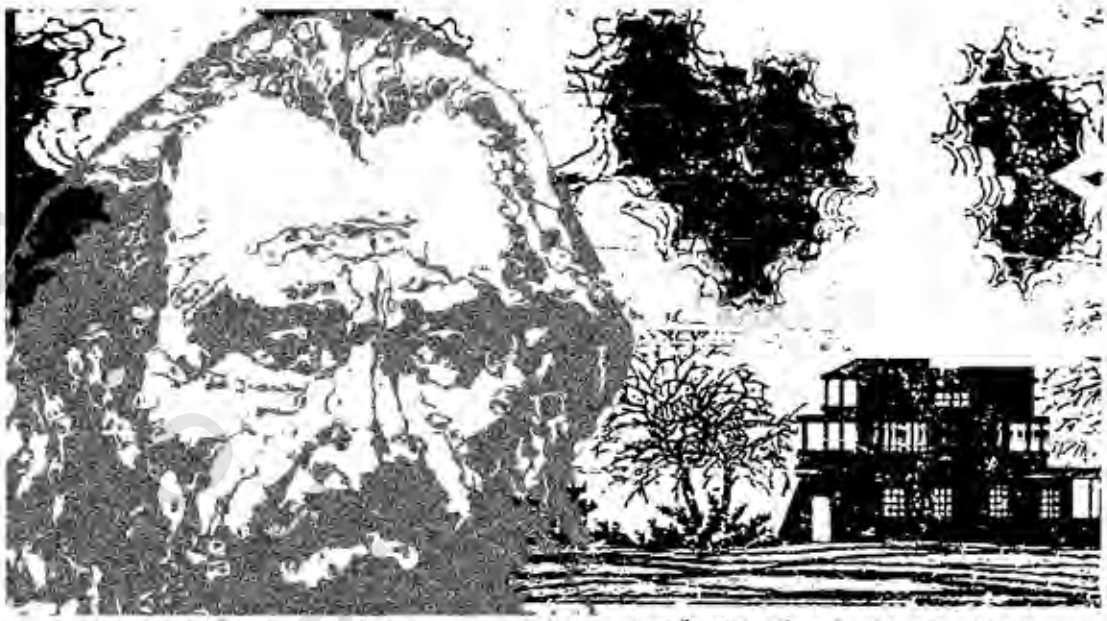

من يومها لم يتعرض أحد فى القرية لها .. بل كان الجميع يخطب ودها .. أو لنقل يتقى شرها شبح الحاج "فتحى" يخيم على المكان حارساً .. ذلك ما كانوا يقوله المحيطون بالمنزل من بعيد

كبر "حسام" .. وإلتحق بمدرسة القرية ككل أقرانه .. كان مثلهم فى كل شىء مظهره وملبسه ومأكله .. إلا شىء واحد .. كان صموتاً أكثر مما ينبغى .. وإن تكلم قال ما يصفوه بالتخريف أو الخزعبلات رغم نبوغه التعليمى ..... الجميع منه حائرين يتعاملون معه وكأنه ليس منهم فهو إبن عائلة غريبة نسجت حولها الأساطير .. الزملاء والجيران يتجنبونه ويبتعدون .. وكان هو أيضاً كذلك .. يتغاضى عن همزاتهم ولمزاتهم .. وسخريتهم منه أحياناً ..

المزرعة أيضاً نمت إلى جوار البيت وأصبحت تعطى من الثمار ما يكفى للعيش .. لم يكن عندهم من الحيوانات التى يفتخر بإقتنائها الفلاحون حيوانا .. اللهم إلا "عيشة" .. تلك السلحفاة العتيقة التى ولدت يوم ولد الجد الحاج "فتحى" فقد عادت للبيت بنفسها .. حيوان يعيش معهم لكن لا نفع منه .. لا يجر محراثاً ولا يدر لبنا ولا يلد أو يبيض مايؤكل ...

وتستمر الحياة ككل القرويين ... عن الكفاف لا يحيدون .. وأكثر لا يريدون .. ينهى "حسام" دراسته ويتفرغ للمزرعة الهزيلة التى تعطيهم ما يسدون به رمقهم ..

فرحة التخرج .. أخيراً إنتهت عبودية الدراسة القميص والبنطال المكويان والإلتزام الصباحى وحمل الهم .. وقراءة ما لا يحب .. ودراسة ما لايرغب أخيرا جاءت الحرية .. وهجر المبنى الجامعى والرفاق بحلوهم ومرهم ..

ما أروع الشلة حين تكون معك فى مراحل حياتك .. الطفولة والمدرسة والجامعة .. وإن كان الوضع بالنسبة إلى "حسام" مختلف .. فلا أصدقاء مقربين .. الجميع يجتنبون مجرد الحديث معه .. اللهم إلا تلك العينان .. فيهما كثير من الكلمات .. نعم .. "رجاء" إبنة "المنياوى"كبير القرية وزميلة دراسة .. كانتا أحلى ما فى حياته على البعد .. فهى أيضاً لم تكلمه أبداً وكذلك لم يجرؤ هو ..

ذلك الشاب الوسيم طويل القامه إبن قريتها الذى لا تستطع أن تطيل النظر إليه حتى لا يلاحظ الرفاق

أحست بالحرارة تتصاعد فى خدودها المتورده إلا أنها وقفت تامل أن يلاحظ نظراتها العذبة .. عسى يتشجع ويكلمها ولو كلمة واحدة .. إذ يجب أن يكون هو البادئ .. هكذا تعود المجتمع ولسبب ما أصبح "حسام" شاغلها

وذلك اليوم وهى عائدة أدراجها إلى القرية .. أحست عيون بعيده كانت ترقبها .. توقفت لتلتفت وتنظر لمن ينظر إليها .. وكان هو .. لم ترى ما كتب بعينيه ... لكنها أحست وكأن الزمن قد توقف وشرر يتصاعد بالجو .. هربت مسرعه إلى المنزل ... بعيدا عن تلك النظرات الملتهبة لم تكن تحس بالعيون التى تختلس النظر .. إعجابا.. وشغفا ..

طارت لدارها كى تحتضن وسادتها .. تحس نشوةً وحبوراً وسعادةً أكبر منها .. لا تعرف لما أصبح حالها هكذا .. لم تكلف نفسها بالأسئلة المتعددة .. بل بقيت تعيش بالعالم الوردى الذى تكاثرت خيوطه الحريرية لتكون عشا صفصافاً يهنأ به كل طير..

هى لا تعرفه جيداً ولكنها دائما تراه وتسمع عنه .. خلقه فريد لكنها تراه حميداً .. شديد الرسوخ والإعتداد بنفسه .. كلماته نادرة .. لكن نظرة الحزن تشوب عينيه .... ثم تلك الأساطير التى نسجت حول أمه وشبح أباها الذى يحوم حول منزلهم

كان على "رجاء" مباشرة عمل والدها بالإنابة عنه فى مكتب الإدارة بمحلاته كتاجر للمحاصيل بالجملة .. يشترى من الفلاحين محاصيلهم .. فهى خريجة كلية التجارة وعملها هو الحسابات لكنها لا تظهر للزبائن أبداً .. دائماً مكانها غرفة الإدارة ..

لم يورق فرحة تخرجها إلا أنها لن تسنح الفرصة وتراه .. ولو أنه يقطن نفس القرية .. إلا أنه تقريباً لا يغادر مزرعتهم الصغيرة أبداً .. وهكذا مضت الأيام كالسنين ..

ذلك اليوم .. إنتفض قلبها فجأة .. "حسام" واقف عند الباب .. نعم هو "حسام" .... لا إرادياً أظهرت نفسها أمامه غير عابئة بالموجودين من زبائن أو عمال بينما كان يهم بالمغادرة

كان تصرفاً جريئاً منها فى مجتمع قروى كالذى تعيش فيه .. فالجميع هناك عندهم شغف بلوك سيرة الناس وإشعال نار الفضائح والشائعات ..

توقف الشاب الصامت دائماً عندما أطل عليه ملاكه الذى أضناه وسهد عينيه طوال تلك الليالى الماضية .. وقف أمامها ينهل من روحها التى تتيم بها ... لم يستطع التكلم او الحركة .... لم يستطع أن يحول عينيه عنها ..

كان لابد له من الإنسحاب من المكان فقد كانت هناك مرآة كبيرة معلقة بالحائط .. وهى لا تظهر صورته .. لأن "زين" فى تلك اللحظة كان مازال يغلب عليه وهو لا صورة له فى عالمنا ...

هو كائن تمدد داخل كوننا .. لكنه لا ينتمى إليه مثلنا .. مع أنه تفاعل معه ونبت فى رحم بشرى

عيناه كانتا معلقتين بعينيها فى قرب كالمهزوم ....."رجاء" أيضا إستغلت الفرصه كى تراه بوضوح وتسبح فى محياه .. كم هو وسيم .. لم يتغير وجهه الهادئ رزين التقاسيم .. نظرة عينيه الحالمة الحنونة فى قوة كصخر المرمر ..

تنبهت لنفسها .. أفاقت من وقفة التحديق .. قالت تخاطبه لأول مرة : .... اهلاً وسهلاً .. يا "حسام" .. ارادت أن تقول .. أنا أعرفك حق معرفة ومهتمة بك ..

فى تلك اللحظة كانت المرآة تعكس صورته .. "حسام" الإنسان خالصاً ..

تباً للعاشق الأبكم .. لم ينطق الشاب شيئاً .. لكن عيناه قالتا الكثير .. لقد جاء ليراها من بعيد وإذا بها تبادله شوقاً بشوق ولهفة بلهفة ..

تملص الفتى من حضن إشراقها و إرتد خارجاً .. فقد بدأت عيون الموجودين فى التمعن بموقف العاشقين إبنة العمدة الثرى تاجر المحاصيل .. وإبن الساحرة الفقير .. كانت أمه "هاجر" تعد أفقر الموردين لهذا المتجر فالمزرعة لا تنتج من النبت إلا القليل ..

شيعته الحبيبة حتى ذاب وسط الناس .. تنهدت لتلطف من نيران قلبها .. فهى تحبه حب حقيقى

عاصفاً كان ذلك اليوم لدرجة أن خيل لأهل القرية أن بيوتهم ستنهدم فوق رؤوسهم بين لحظة وأخرى .. تدحرجت من أعلى الجبل جمجمة غريبة .. كانت طويلة كرفات رأس حيوان .. قريبة الشكل من التخيلات التى ترسم للشياطين لكنها كانت آخراً تعد من جماجم البشر ..

دعا "المنياوى" كبير القرية المعلم " حسبو" أمهر البنائين لبناء مقام يليق بتلك الرأس التى قالوا أنها لأحد الأولياء من الشيوخ ذوى القربى لعائلة "المنياوى" العريقة ذائعة الصيت ... أرسلها الجبل بعد أن بالت القبور القديمة هناك ومادت

لتبدأ سلسلة من الخزعبلات الأسطورية بين الناس حتى تم بناء المقبرة بعد عام بالقرب من سفح الجبل متزامناً مع بناء سرايا "المنياوى" الجديدة ..

لينتقل "المنياوى" مع زوجته وإبنته "رجاء" وإبنة أخيه "سماح" وخادمتهم الهندية "زاهية" إلى السرايا

في هذه الفترة كان الصراع قائماً مع عائلة "عزام" والتنافس لا يزال على أشده على زعامة القرية والفوز بأصوات الناخبين للمجلس النيابى .. مما كان يعني مزيداً من الازدهار فى أعمال المعلم "حسبو" الذى وجد نفسه فى قرية أصابتها حمى المظاهر والبناء .. فإستغل الموقف تماماً وبدأت الأرباح تنهال عليه حتى جاء الشهر التالى ليحدث ما غيّر تاريخ القرية إلى الأبد فقد ألقيت جثة المعلم "حسبو" من الجبل .. وكانت بلا رأس .. وقال القرويين أن الجبل قد أخذها مقابل الجمجمة التى بنى لها المقام ..

ثم أصيبت زوجة "المنياوى" بالمرض .. شعرت بالصداع وضيق التنفس وأنتها بعض نوبات الصرع وكل تلك الأعراض التى وصفها العارفون بالمس .. وتعنى الكلمة أن صاحبها وقع تحت تأثيرالسحر الأسود ...

العشرات أحسوا الخوف وتوتر الأعصاب .... وبدأ إسم الشيطان يتردد على الألسنة وأستبدل بكلمة سحر أسود ثم وقع كثير من الأهالى تحت تأثيرالسحر الأسود وأصبح حقيقة لا جدال فيها حتى جاء ما يؤكدها .. وتكررت الحوادث القديمة التى تأخذ فى طريقها صفوة شباب القرية

"حسام" وأمه إختفيا عن الوجود ولم يعد أحد يجد لهما أثر .. قال بعض القرويين أنهم رأوا الأم تصعد الجبل .. أما "حسام" فلم يعد موجوداً .. البيت والمزرعة خاليان ..

لم يمض وقت طويل حتى بدأت فتيات القرية فى الإصابة بذات الأعراض .. إستدعوا الطبيب من البندر لتشخيص هذه الأعراض فأعلن عجزه عن فهم ما يحدث وقرر أن هذه الأعراض نتاج قوى غير طبيعية ...

وأخذ عدد الفتيات فى الإرتفاع حتى أصبحن سبع عشرة منهن يعانون ذات الأعراض العجيبة والتى أضيف إليها بعض المؤثرات الدرامية كالصراخ المستمر والإصابة بالشلل المؤقت فى أوقات معينة

ونظرًا للإعتقاد بأن هذه الأعراض ما هى إلا نتيجة قوى شيطانية ... تطوعت إحدى السيدات لتعرض على "زاهية" خادمة " المنياوى" أن تخبز كعكة خاصة مصنوعة من دماء حيوان مخلوطاً برقات آدمية تأتى بها من المقابر ثم تطعمها لكلب .. نظرًا للإعتقاد السائد أن الكلاب تستخدم من قبل السحرة للحصول على الأثر المنشود ..... ولكى يتم المراد ... لابد من تراب يؤخذ من تحت الجمجمة المدفونة فى المقام والتى أتت بها العاصفة يوما من فوق الجبل ....

وقررت الخادمة الهندية الأصل المخاطرة بتنفيذ هذا الإقتراح فخيزت كعكتها المشبوهة خاصة وأن كانت الخادمة ذات ضلاعة فى ممارسة السحر .. وبدأت المأساة .. فقد كانت الخادمة تطلق كلبها فى الليل ليقتنص الأرواح الشريرة .. كما إدعت السيدة التى أوصت"زاهية" بهذا الفعل

إقتنص الكلب فتيات كثيرات من اللاتى يعانين الأعراض العجيبة حال الإنفراد بهن خارج منازلهن حتى أن كثير من الأهالى حبسوا بناتهم داخل المنازل ومنعوهم من الخروج ... فبدأ الكلب فى مهاجمة البيوت .. فهذه هاجمها بعد أن إقتحم زجاج نافذتها وهذه تسلل من باب الدارمغافلاً أهل البيت وإختطفها .. فقد زادت وحشية الكلب وشراسته .. وتعطشه لدماء البشر ..

وهناك فوق الجبل شكّل ذلك المنزل المنعزل لطخة فاحمة السواد أشبه بأعشاش الطيورالضارية معلقاً مثلها فوق الصخر الذى يغطى الممر المرعب الذى لا تغامر الناس بإرتياده .. ممر كدرب المهربين الذى تصنعه آثار الصاعدين لوليباً لتفادى المناطق الوعرة والآيلة للسقوط ..

الريح الهوجاء تصفر هناك صفيراً خاصاً وتنتهك الرمال العارية والصخرالمتآكل الذي تكسوه بعض الأعشاب القليلة وتندفع صوب البيت الذى إتخذته"زاهية"مربضاً لكلبها وكأن تلك الرياح تحميه بقوة شيطانية .. وقد تجمعت حيات كبيرة فى المكان وكأنها نوديت إليه لأداء عمل ما

وكان إنتشار تلك الحيات الشاحبة العالقة برؤوس الصخور السود العديدة التى تخرق الرمال كأشلاء عائمة تهتزّ فوق سطح الجبل يثير الرعب فى النفوس .. ثم بدأت الحيات تزحف على القرية من عل

كان هناك ذلك البيت الكئيب الملتصق بحافة الجرف يفتح نوافذه الثلاث على هذا المدى الوحشى القاحل فيرقب منه كل من بالقرية من بشر .. ينفث منه أوامر للكلب فيتجه لأناس بعينهم ..

لم يجرؤ أحد على مجرد قول هذا بل فكروا فى تقديم الهبات من حيواناتهم على الجبل كقربان

لمدة شهور عوّدتْ "زاهية" كلبها الشيطانى على هذا النوع من الصراع وعلى هذه الوجبة التى يتم الحصول عليها بالنهش بعدها لم تعد تقيده وإنما ترسله بحركة منها صوب الهدف الذى تشير إليه بلغة متبادلة بينهما ..

لقد علمته كيف يمزق ويزدرد فى حلقومه مقتلاً من ضحيته فيقدها الحياة سريعاً دون مقاومة

ما أن تلمح "زاهية" هدفها حتى ترتجف وتلتفت نحو الكلب وتصيح به : "هيا " .... بصوت مبحوح له صفير مرعب رافعة أصبعها فى إتجاه الهدف ..

نزلت "رجاء" من دارها قاصدة الإختلاء بنفسها ودفين قلبها .... راغبةً فى أن تطلق العنان لدمعاتها .. عساها تضمد لوعة حبها وجفاء تصورته فى حبيب مغرور ..

وسط الحقول على ضفة القناية ... كان لها ما أرادت ... أسبلت جفنيها وتنهدت ... ثم فتحت عينيها على ما تمنته ... كان وجه "حسام" أمامها وكأنه يقرأ أفكارها .. لم يكن هذا أقل غرابة من تلك النظرة فى عينيه .. كانت الشغف ذاته .. لم يكن الموقف يحتاج إلى شرح ..

قابلها على تلك الأرض المتواضعة .. نظر إلى وجهها المكسو بغيوم توشك أن تلقى بأثقالها على سنين العمر كله .. الماضى والحاضر والمستقبل .. عشقا الضباب والغيم الذى أحاطهما فسترهما عن عيون الناس ..

قالت شفاههما كل شىء يمكن أن يقال بغير كلمات ... فقد كانت شفاههما منضمتان لبعضهما كأنهما خلقا هكذا .. كانت قبلة العمر كله .. أفاقتها حمرة الخجل فلم تفعل هذا قبلاً ... ولا هو

تحولت اللحظة إلى كم هائل من الأحاسيس الغارقة فى بحر هادئ فيض من السعادة الرقراقة

رجع من شروده إليها .. أجابته بمحبة تضاهى محبته لها .. دارت بيدها حوله عنقه .. أأنت هنا يا قلبى .. أريد أن أضع حياتى كلها بين يديك

إستسلمت لمشاعر جياشة دفقتها له دفعة واحدة ... سكونه أدخلها فى أطياف الأحلام فأسكرها قالت له : من أنت ؟ أعرف إسمك وعائلتك وأين تعيش .. لكنك مختلف .. فما حقيقتك ..؟

قال : حنانك سر جمالك و ربما ذكاءك سر حنانك .. تداخل الكلمات ضلل حصافته .. تذكر أنه فى عقلها يتلمس أفكارها ... ويدقق فيها مقتحماً أحلامها .. لم تكن له دراية بما يقول فلم يحسن التعبير .. لكنها أحبت صدقه .. وقدرته الخفية ..

قال : لا تتنازلى عن ذكائك بأسئلة لا أجوبة لها .... صدقاً أنا لك أتحسس أحلامك ولا تصدقى الا الواقع الذى تعيشين

لحظتهما قاربت على نهايتها .. قالت : أحبك .. لا أعرف كيف .. لا أعرف لماذا ..

إحتضن كلماتها .. تداخلت أفكاره وأفكارها.. يا لروعة هذه اللغة .. الصمت وحروف الكلمات وصوت كروان قادم من بعيد .. هى إذن اللحظة التى غرقت فيها ... كم عشقت هذا الغرق ..

أحلام يقظة كانت كنسمة تتنقل بين ورود زاهية متفائلة .. رغم ثقل الأحداث ..

تركها تسبح فى أحلام دنيا بدت رحبة رغم ضيقها .. حافظ على سكون حركته .. أحب تداخل روحه مع روحها .. ما أعذبه من شعور إنساه انكماشه داخلها وأنساها إندفاعها فى فضائه .. تركها ويده تأبى إفلات يدها من حضن يده .. يجب أن يمضى الآن مفارقاً ..

إنفلتت الأيدى بينما أبت القلوب .. مازالت منضمة رغم إبتعاد الأجساد .. وستبقى هكذا ..

مكث طويلاً فى عقلها .. تسللت يداها إلى رأسها .. أمسكته .. ضغطت عليه ..... آلمها فراقه هكذا .. كتمت صرختها داخلها حتى لا تقتلعها من جنة رسمتها فى خيالها .. آحست به يبتعد فأزاحت يديها عن رأسها ... إبتسمت بسمة وداع ... وإبتسم ....

لم يتواعدا .. لم يحددا موعداً للقاء قادم ..

إنصرف وطالت غيبته .. عاد إلى إختفاءه الغير مبرر .. لكن ألسنة القرويين سعت كالأفاعى تنقل قصة العاشقين .. وتزيد عليها تفاصيلاً .. حتى وصلت تلك الحمم لآذان أبيها وعائلتها

لم تنكر "رجاء" حرفاً مما قيل .. حتى الذى لم يحدث منها .. بل أحبت آن يقال عنها ... فقد كان فى قلبها حب أعظم وآجل ..

يريدون وطأ الوردة التىتفتحت لتوها .. مازال يقطر منها الندى .. لكن هيهات .. ستدافع عن حبها للنهاية ..

كانت"رجاء" تظن أنه بمجرد عودة "حسام" ستتحول دنياها إلى أجمل وكأنها قد بدأت الآن للتو فلقد كانت الأيام الثلاثة التالية هى أسوء أيام حياتها على الإطلاق فلم تعد ترى "حسام" فى القرية ولاتعرف له مكان .... للدرجة التى أرعبتها أن يكون قد رحل وأمه من القرية كما رحلت قديماً فجأة ..

وإنشغلت هى فى أعمال الإشراف على أملاكهم التى وكلها أباها إليها بشكل مستمر .. وكانت لا تستطيع أن ترفض إمعانا منها فى إسترضاء والدها الذى تغيرت معاملته لها كثيراً .. فقد وصله من أمرها ما أوجسه ..

إنتشر أمر الحبيبان بسرعة رهيبة حتى وصل لمسامع أهل القرية خاصة الأسر النبيلة فيها وكل معارفهم

كانت سيرتهما فعلا حديث القرية .. وما أزاد الأمر سوءا هو التجاهل الذى يعاملها به "حسام" وكأنها ما تزال بعيدة عنه .. ولم تكن عائلتها أفضل حالاً فلقد كانت تصرعلى إذلالها وأهانتها بالكلام ذو المعنى المزدوج ...

أصبحت "رجاء" مكتئبة وحانقة على حياتها لأقصى حد فقررت أن تخرج كل ما تشعر به فى وجه "حسام"

ولم يكفهم ذلك بل قام أباها بتصرف أكثر إذلالاً مما سبق فأمر صبيانه بألا يبتاعوا محاصيل مزرعة "هاجر" وأن يعاملوها معاملة سيئة كما أصر على تولية إبنته "رجاء"أعمال أقل إحتراماً وكانت تلك كارثة أثارتها بشدة وحاولت جاهدة إثناء والدها أن لا يجعلها سخرية أهل القرية .. فكان رده :
"ولما ؟! ..هذا عملك .. إذا كنت خجلة .. فهذا خطأك وحدك .. لم يجبرك أحد على أن تأنسى إلى إبن الساحرة .."

كانت تلك الكلمات كافية لإغلاق فمها ورويداً لم تعد تتحمل إهانتهم برابطة جأش مثل السابق شيئا فشيئا بدأت تكتئب وتشعر بالمهانة والذل والوحدة أينما ذهبت فلقد كانت غيبة "حسام " عنها طويلة .. ولن تفيد عودته كثيراً لكنها ستخفف من آلامها

الجميع يتجنبها فى إزدراء و يهينونها والبعض يكتفون بتوجيه كلام لاذع ذا مغزى ومما أثارها حقا أنه إذا أتى أحد أفراد العائلة لزيارتهم فى منزلهم فإنه يعاملها بإزدراء قاسى وكأنها حثالة لا تستحق النظر وكانت تكتفى بالذهاب إلى غرفتها والبكاء ذلاً ومهانة

المها مرض أمها الذى بدأ يظهر واضحا ويزداد ولا أحد يعلم السبب .. كما حزنت لأن والدها يكره "حسام" ويحتقره مما يزيد من حزنها أضعافاً فتشعرأن جميع الأبواب أوصدت فى وجهها

تظاهرت بأن شيئا لم يكن وأخفت حزنها وقلقها تستدير لتخفى دموعها تمسكها وترسلها بعيداً

وكلما سنحت الفرصة وإنشغل الجميع .. إستغلت أن لن يشعر أحد بغيابها .. مشت فى الحقول تفكر فى حبيبها وفي كلماته لها ومواقفه وفى إشتياقها له

ووجدت نفسها أمام كرسى خشبى بين الأشجار فجلست عليه تفكر وتستحضر فى ذكرياتها .. حتى ظهر كانن وسط الظلام ظل يحدق بها دون حراك بعيون تبرق فى الظلام .. لم تتبينه جلياً حتى لمحت حركته وما أن تأكد أنها رأته حتى اقترب منها حثيثاً ..

إنه كلب "زاهية" المتوحش الذى لا يترك من ضحيته شيئاً .... إحتوت خديها بيديها رعباً ولم تستطع الصراخ ... إقترب الوحش أكثر وكشر عن أنيابه .. لن ترى رعباً فى حياتها كهذا ..

تغيرت سحنته كثيراً فلم يعد كالكلاب .. بل هو اشبه بالذئب بل أشد شراسة .. عيناه تقدحان شرراً ... تفاصيل جسده دلت على إمتلاكه قوة هائلة ..

سيقضم رقبتها حالاً .. هو يبدأ عمله من الحلقوم ..... إقترب أكثر حتى كاد يلامس وجهها ..

إنفرجت اسارير وجهه فجأة وماء كالقط الضعيف .. لم يكن ينظر إليها .. لكنه كان ينظر من بخلفها .. كان الكلب ينظر ذلك الشخص الذى يقف خلفها من بعيد ... كان ينظر "زين" الذى يعرفونه بإسم "حسام"

إستدار الكلب المتوحش وإنصرف من المشهد متلفتاً خلفه خائفاً ضاماً ذيله إلى ما بين ساقيه الخلفيتين خذلاً وخزياً ..

جرت "رجاء" هلعةً باكيةً ولكن "حسام" إستوقفها قائلاً : "لم أفعل شيئا لأثير حنقك هكذا "

فوجئت به فألقت بنفسها فى أحضانه وغمرته بدموع غزيرة وكلمات خرجت متقطعة .. أحبك .. أتيت الآن حبيبى .. كدت تفقدنى .. الوحش كان ليلتهمنى .. أبى يكرهك .. العائلة تحتقرنى يستصغرونك فى عيونهم .. يظنون أنهم أعلى من الناس بثروتهم .. خذنى .. أنقذنى ...

أنا ملكك اليوم وأبداً ولن أكون لغيرك .. لن أتركك بعد اليوم ....

قال : عليك أن تثقى بى .. لا تهمنى أسرتك ولا أباك ولا أمواله .. ولا القرية كلها .. لكن تريثى فقد أكون لا ألائمك .. لن تصدقى هذا ..... أعلم ما لا تعلمين ..

لأنك مثل الآخرين ... يظنون أن من لا تجرى فى عروقه دماء الثراء لابد أن يكون حثالة إنتهازى لا قيمة له .. ولكن عليك أن تعلمى أننا مخلوقات نملك مشاعر أيضا وأن النبل مكانه القلب.."

أوصلها إلى منزلها وهى فى كنف ساعده .. لم يهتما أن يراهما راءٍ هكذا عاشقين .. الجميع شاهدهما هكذا .. لم يعد سرا ...

الوجوم ساد كل الوجوه .. سارت .. دلفت للبيت .. لحجرتها .. إرتمت إلى سريرها ..

لم تستطع النوم تلك الليلة وهى تتذكر الأحداث وما قاله لها "حسام" وتستحضره فى ذهنها كلمة كلمة ثم تعيد إستحضاره من جديد دون توقف وكأنها تعيد سماع لحناً محبباً وظلت صورته بحضوره الرائع تظهر أمامها فى ظلام الغرفة ...

تشعر بسعادة ولهفة وهى تتذكر وتشعر بإرتياح جارف له .. لكن كلماته كانت تحمل معان أكبر من كونها كلمات لها معنى محدود .. أعادتها فى ذاكرتها مراراً ولم تفهمها جملة وتحصيلاً ..

يا له من شاب متفرد غريب كلماته تنبض إحساساً وعذوبة رغم ما يستخدمه من ألفاظ غريبة تذكرت تلك الكلمات العفوية التى قالها زميلها الجامعى ... لاسيما تلك العبارة .. " أننا مخلوقات نملك مشاعر أيضا .. وأن النبل مكانه القلب " .. تعبير صادق جميل .. لكنه لا يناسب مستواه الثقافى

لم يترك لها الفرصة لتتدارك الأمر أكثر .. ومضى يستطرد قائلاً :
"عزيزتى ... أنا معك .. فى قلبك .. حتى لو لم أكن معك بالفعل .. أنا داخلك .. فلا تقلقى على حبى وهو الذى يجب أن ترعيه .. لابد وأن يأتى يوم تعرفين ..
حسنا ؟!.... والآن هيا إبتسمى .... كفى عن البكاء ....إبتسامك ينير حياتى الميتة "

ضحكت وسط بكاءها وضحك هو الآخر بصعوبة .... لكنه لم يكن موجوداً معها فى حجرتها .. من إذاً كان يكلمها ؟؟ !! وماذا قصد بذلك التعبير "حياته الميتة"

كاد راسها ينفطر .... كاد يقتنصها مس جنون .. لكن وطأة الأحداث كانت قد أرهقتها فغمرها النوم ..

إمتلأت أحلامها بالكوابيس هذه الليلة عكس ما كان متوقعاً .. نظراً لحالتها النفسية ومعنوياتها المرتفعة لرؤية فارسها المغوار و نجاتها من براثن الكلب المتوحش .. رأت فى أحلامها أباها العمدة ذئباً مسعوراً ووحشا مفترساً .... عولت هذا للرعب الذى تعرضت له البارحة فلابد أن الأحداث أثرت على عقلها الباطن ..

فجر يوم الجمعة جرى نهر من الدماء فى بيت الجبل الأسود .. إنطلقت الرصاصات خلال ربع ساعة من بندقية أميرية أمسك بها الخفير الخاص للعمدة "المنياوى" و صوبه تجاه الساحرة "زاهية" وكلبها المتوحش .. وبين زهول الحاضرين .. أمسك العمدة بمسدسه و صوب الفوهة إلى فمه فأطلق على نفسه رصاصة واحدة و إنتحر.

وبعد شهر من الواقعة الدامية عادت الغرائب لتطفو على سطح الأحداث من جديد ..

فهناك أصوات غريبة تنبعث من حجرة العمدة المنتحر .... كما أنهم لاحظوا أن شباك الغرفة ينفتح كل يوم فى الليل ..... بالإضافة لمشاهدتهم أحجاراً صغيرة تتطاير منه كل ليلة رغم أن الغرفة تركت مهجورة لم يشغلها أحد منذ حادث الإنتحار بالجبل ..... ما من شك أن الغرفة أصبحت مسكونة بشىء ما

على الرغم من أن تلك الغرفة لم تشهد القتل وقد دفنت الجثث بعيداً .. جثة العمدة القتيل فقط دفنوها الى جوار الرأس المدفونة فى المقام القريب من الجبل .. والذين يدعون أنه من الأولياء ذوى القربى ..

و كثرت الجرائم المتماثلة بالقرية .. إنتحار وشجار على أقل الأمور أهمية .. لكن النتيجة دائماً جثث لشباب يافع ذوى بنية صحيحة ..

إنتاب أهل القرية إحساس غريب و شعروا بالخوف .. لم يكن يعلم سببه منهم إلا كبار السن فقد عاصروا عهداً لا يتكلمون عنه كثيراً ..

حكايات غريبة تحدث كل ليلة داخل و أمام سرايا العمدة السابق .. الذى إنتحر لسبب غير معلوم

أضواء تلمع فى الليالى المظلمة وسط الحقول .. عيون تبرق وتختفى حول بيت العمدة القتيل

إحدى الحكايات التى تلوكها الألسنة كانت تقول إنه كلما أعلنت الساعة عن تمام الخامسة فجراً يتوقف أمام السرايا ذئب كبير الحجم .. ويشخص ببصره إلى نافذة غرفة العمدة القتيل ..

يقولون أيضاً أن كلاب القرية تعوى شاخصة للغرفة عندما تمر من هناك ..

حكاية أخرى أشد غرابة كانت تؤكد سماع أصوات شجار تصدر من داخل الغرفة عند منتصف كل ليلة و بعدها تنطلق صرخات أشبه بصرخات "القطط" في العراك لمدة دقائق .. هذه الأصوات يسمعها خفراء الدرك الذين يتولون وردية الليل من الثامنة مساء و حتى الثامنة صباحا .....

الأعجب أن آثاراً للدماء كانت تلطخ جدران المنزل من الخارج و كأن أحداً ذا يد ملوثة قد إعتلى الجدار ليصل إلى النافذة الخاصة بغرفة العمدة المنتحر ..

عندما أطلق "المنياوى" الرصاص على نفسه حملوا جثته وأرقدوها على السرير في غرفته جثة هامدة و الدماء تغطى كل رأسه .. الآن السرير ليس عليه جثة "المنياوى" و لكن رائحة الدماء والموت ما زالت تملأ أرجاء المكان .

أدى ذلك الحادث لإنتقال الزعامة القروية لعائلة "عزام" المنافس القوى للعمدة السابق .. وجاء هذا الرجل تحت مسمى تقديم واجب العزاء لكنه في الحقيقة كان هدفه الإطمئنان والتعرف على ملابسات الحادث الغريب ..

أمر "عزام" أن تبقى وردية خفراء درك الحراسة أمام المنزل كما كانت .. لم تكن تلك مجاملة ولياقة ... بل كان خوفاً مما يسمع أنه يحدث في السرايا بعد الحادث .. وما يحدث بالغرفة من أشياء غريبة .. وذاك الشباك الذى ينفتح فجأة يوماً بعد يوم بلا سبب .. شباك غرفة نوم القتيل المهجورة من سكان المنزل

وبالفعل إنطلق الخفراء يجوبون أرجاء المنزل ويتفحصون المكان والأثاث وبقع الدم على الجدران من الخارج و كانت المفاجأة أن إكتشفوا آثاراً خفيفة تجاه غرفة الإبنة "رجاء" ما الذى يربط الفتاة بتلك الأحداث السابقة .. هذا السؤال لم يعثروا له على إجابة اللهم إلا صلتها بتلك العائلة المشبوهة .. الساحرة "هاجر" وإبنها "حسام" .. خاصة مع إختفائهم المريب من القرية

قام الحرس بمعاينة الشباك جيدا و لم يكن به أى آثار لفتحه من الخارج ..... بمعنى آخر أن الشباك يفتح من الداخل ..... أو أنه يفتح بقوة غير منظورة لا تترك أثر أو تفتحه عنوة ....

حارس من الحارسين المكلفين بحراسة السرايا فى وردية الليل قال: ذات ليلة .. سمعت بأذناى أصوات "عراك قطط" تنطلق من الغرفة .... نظرت لزميلى الذى يشاركنى الوردية فى رعب و بسرعة تحولت نظراتنا إلى الحقل القريب لنكتشف أن ذئبا أسود جالس يرقبنا فى هدوء مخيف

تساءلنا و لم نعثر على إجابة لشىء .. أخذنا وضع الإستعداد بالبنادق .. لكننا لم نجرؤ على الإطلاق .. وفى لمحة إختفى ذلك الذئب فجأة ..

و يستطرد الحارس قائلا : لم تمض ثوان حتى سمعت أنا و زميلى أصوات غريبة لم ننجح فى تفسيرها و لم نعرف سوى أن مصدرها داخل المنزل .. دب الرعب فى قلبينا .. و زاد خوفنا عندما سمعنا صوت إرتطام شئ ثقيل يأتينا من جهة الباب .. غادرنا مهرولين من الفزع

جريت مع زميلى بعيداً .. و لكن قبل أن نبتعد إستدرت ناظراً لأكتشف أن شباك غرفة "المنياوى" مفتوح و أحجاراً صغيرة تتطاير منه

بعد هذه الواقعة الغريبة .... أبلغنا العمدة الجديد الحاج "عزام" بضرورة الإبتعاد عن السرايا لأنها أصبحت مسكونة ..

بعد شكوى الغفر من سماعهم ورؤيتهم لتلك الأشياء الغريبة التى تحدث بالسرايا بعد منتصف الليل و عند الفجر ... كان رد العمدة "عزام" على شكواهم بأن تلك الأصوات الغريبة التى يسمعونها ربما تكون صادرة من مكان آخر أو ربما هم يتوهمون ... قال ذلك حتى يهدئ من روعهم ..

و لكن الحقيقة المؤكدة التى لا تقبل شك و التى رآها كثيرون بعيونهم .. تؤكد أن هناك أشياء غريبة تحدث داخل السرايا .. العجيب أن سكان السرايا لم يكونوا يرون شيء من هذا كله ..

"رجاء" كانت مستكينة للوضع أكثر مما ينبغى .... ربما كان يأسا من الحياة ... وربما إكتئاباً سببته ظروف الحياة التى مرت بها مؤخراً .. لكن الخوف لم يصل بعد إلى أساريرها .. فالهم أحياناً يقوى العزم ..

لم تلق بالاً لصغائر أشياء تحدث .... لم تجزع من فازة وقعت لحالها دون أن تمسسها يد من مكانها إلى الأرض فإنكسرت ..... لم تلق بالا لزحف الكوب من فوق المنضدة ... ولا لإهتزاز الثوب فوق الشماعة فى الغرفة ذات الباب والشباك المغلقين .. ولا لتلك الأصوات الليلية التى تأتيها من بعيد .. ولا لوقع أقدام تسير فى صالة المنزل ..

ذلك الشعور بالخوف الذى سيطر على الانسان منذا القدم .. الخوف من المجهول .. من الظلمة من حكايات الأقدمين ..أساطير كثيرة جسدت روايات عن الرعب ودراكولا والمستذئبين والأرواح الشاردة والمتحولين والقطط السوداء وعفاريت الجن .. حكايات عديده وروايات مختلفه ..

جسد الراوون ذلك بأشكال مختلفة .. يصفها سامعيها بالخرافات .. بينما يظل الخوف موجوداً كأقوى شعور يربك الانسان إذا كنت وحيداً فى المنزل أوالطريق .. فى الشتاء وفى الرياح .. فى العتمة أوعلى ضوء شموع تتراقص كالأشباح ..

أسلمت عينيها للنعاس .. هزها برفق .. قال لماذا تهربين يا حياتى .. إياك أن تخافى شيئاً .. أنا ملاكك الحارس .. قالت : أين أهرب من أيام أهلكتنى وأحالت ايامى لكابوس يخنق حياتى ويغرز أظافره الحادة في عنقى ... حبيبى أنت ملاذى ومنقذى .. قال وأنت ملاكى ومعشوقتى

لم تعى كيف تقهقرت إرادتها وانزوى عفافها منسياً خلف جدران قلبها المشبع بالحب .....

قالت كلمتها وطوقته بذراعيها ... ضمته إليها بما إستطاعت من قوة ... غرست نهديها فى صدره .. أذابت شفتيها فى فمه .. ألأمت جسده داخلها ..

مجنونة تلك الأنثى الملتاعة .. لفظتها ثمالة الحب إلى جب الهاوية ... دوت آهاتها تتردد من أعماقها .. لهفاً للقاء .. أحست بفيض الأمان وبث الصدى فى شقوق كيانها الإنسانى وظلمة الواقع التى غيمت عليها ..... لم يكن لديه إلا أن يضمها ..أحاطها بساعدين لا فكاك منهما .. أصبحا جسداً واحداً .. ذا روحين متآلفين ..

إعتلت القمة سريعاً وأن لها النزول .. تملصت بحنان .. وبصعوبة شديدة سمح لها بمغادرته قالت : أحبك يا "حسام" ..... وقال : بل .... "زين" ..

دس فى يدها شيئاً شكها إيلاماً .. وقال : هذا جزء منى .. لا تفرطى فيه ..

فتحت عينيها هوينا .. تمطات وتنهدت .. ما أروعه من حلم .. فاق أحلام الصبايا

قلبها يطير سعادة .. أما جسدها .. فكان بركاناً ينفث حمماً .. ألم حلو كان يراودها فى كل مكان مسه منها فى الحلم .. ولكن لماذا قال "حسام" أنه "زين" ؟!

أمعنت التفكير تحاول التذكر .. فتحت يدها التى أعطاها فيها شيئاً لم تعرفه .. كانت خاوية .. ضحكت وقالت فى نفسها : ... أضغاث أحلام ....

تذكرت .. كان شيئاً معقوفاً ذا نهاية حادة .. لكنها لم تتبينه جيداً .. كل شيء حولها أسمى من الخيال .. لقد حلمت بجنة عدن .. بل لقد رأتها وعاشتها .. ولأول مرة تشعر بهذا الإنتشاء ورغبة أكيدة فى الإستمتاع بالحياة وبحاجتها إلى هذا المذاق الحسى ..

ظماً قاتل ألهب حنجرتها .. خرجت من حجرتها تلتمس كوب من الماء .. نظرت النوافذ .. ما بال ضوء الصبح لم يأت بعد .. نظرت المنبه على الطاولة .... مازالت العقارب تشير إلى ما بعد منتصف الليل .. ماهذا بجانب المنبه ..

هناك على الطاولة .. كان شيئاً تحققت منه .. إنه مخلب .. إحتوته يدها الناعمة .. أطبقت عليه كفها ..... آه لقد تذكرت .. هذا هو ما أعطاها إياه "حسام" فى حلمها الجميل ... كيف وصل هذا الشيء إلى هنا .. بل كيف جاء من الحلم .. إلى عالم الحقيقة

كان هذا فى الأول من مارس .. و لا يوجد تفسير لما حدث بالضبط فى هذا اليوم من أيام الحب .. الربيع قادم بنقاءه وجوه الجميل وطيب مزروعاته .. وتزاوج الحيوان .. لكن هذا لم يحدث فقد خيم على القرية موات ثقيل .. ناهيك عن تلك الحوادث التى تصيب الفتيان من الأهالى ..

القرية تبدو وكأنها تريد كسر رتابة الحياة حتى لوعلى حساب أي واحد منها .. فتطوع البعض بالإشارة إلى آن المتهم فى الحوادث الجمة التى حدثت هى الساحرة "هاجر" وإبنها "حسام" وأن مجرد ظهورهم فى الحقول هو سبب اختفاء المحصولات وموت المزروعات والحيوانات

"هاجر" هذه إبنة "فتحى" الذى كان ملماً بأصول السحر الأسود وهى التى صدرت سحرها للتنكيل بمن أرادوا طردها من القرية سابقاً .. هى تظهر فى صورة "زاهية" صاحبة الكلب المتوحش وهى من أمسكت بيد العمدة المنياوى وجعلته يضرب رأسه برصاص مسدسه ...

وكانت الأحداث الجارية كفيلة لجعل مثل هذه القصص قابلة للتصديق ..

لكن "هاجر" لم تتهم وحدها بل إنضم إليها كل من إبنها "حسام" وحبيبته "رجاء" وكل من يتعامل معها حتى ولو مرة كالشحاذة المزعجة التى قبلت منها حسنة فى السوق مرة والعجوز التى إشتهرت بكثرة مشاكلها مع الجيران وذهبت إليها راجية أن تعمل لها عملاً للإضرار بهم

تلك البلدة المتطرفة فكراً ومكاناً لم تكن تخضع لسلطان الدولة التى هى فى النهاية جزء منها ويسيطر عليها قانون عام .. كانت لها أعرافها الخاصة .. فهى بعيدة كل البعد عن عين الحكومة

كما أن الوضع الباراسيكولوجى القاطن فيها والذى يمتلك قوىً خاصة تؤثر بقدر كبيرعلى العقول كان له الأثر الجذرى فى عدم زيوع ما يجرى من أحداث خارج نطاق تلك البلدة الصغيرة ....

الإحساس الجهلى العام أيضاً كان له دوره .. فقد إعتدنا عدم التصديق .. وإتهام أى راوٍ لحدث غيبى لا يقبله الإطار العام لحياتنا بالشذوذ ..

لذا إنغلق المجتمع الصغير على نفسه وكان عليه أن يحل مشكلاته بطريقته مستخدماً ما لدى كبرائه من ذكاء أو لنقل من غباء .. على الرغم من وجود الكثيرين فيه متعلمون ...

هذا الأمر وارد بشكل كبير فى نجوع الصعيد والأطراف الممتدة على الحدود ... شرقاً وغرباً وخاصة فى الجنوب .. حيث يسنون لأنفسهم قوانينهم الخاصة .. فى شئون الثأر و عقاب الخارجة عن العفاف والدية المدفوعة للقتلى والنزاعات الطائفية وتداول المخدرات وغير ذلك لأن حكم القانون العام لن يرضيهم ناهيك عن طول أجله الذى لن يشفى الجراح ..

لذا كانت المحاكمات العرفية التى يقوم بها من يزعمون أنهم كبراء المكان .. ولذا أقام العمدة عزام محاكماته التى لا يستطيعون إسنادها لأدوات الدولة من شرطة وقضاء الذين لن يعترفوا أبداً بأن فلاناً يمارس السحر .. أو أن فلاناً ليس من البشر أو أن حيوان شيطانى قد ظهر عندهم

كما أن للبشر رغبة دفينة يؤيدها من يتسترون ويستفيدون من لباس التدين الزائف فى خوض الأحداث الشاذة والتحمس لها .. لهذا كان على من يعتبرون نفسهم الصفوة أن يقيموا المحاكم والتحقيقات داخل القرية إعتماداً على أن لن تخرج أخبار ما يفعلون خارج حدود مكانهم المحدود يحققون ويحكمون ويعاقبون ويقتلون .. عرفياً .. والكل طائعون ..

أسندوا كل الظواهر لفعل هؤلاء السحرة .. فما يحدث ليس من المنطق فى شىء ... وأضافوا للسحرة كل من يكرهون من أهل القرية

إزداد الأمر تعقيداً وغموضاً ورهبة .. فبدأ النسوة فى القرية يدلين بأنهن يرين الساحرات طيلة الوقت حتى فى منازلهن وبدأت تظهر حالات الإغماء والذعر عند إدلائهن بهذه الشهادة .. ومع هذا الأداء الرهيب إتسعت دائرة المكذبين والمصدقين

النسوة فى القرية كن يسقطن ويصرخن بمجرد أن تلمسهن واحدة من المتهمات بممارسة السحر الأسود .. وباقتراح من العمدة تم إعتماد أن مجرد الاعتراف بالسحر دليل كاف لتطبيق حكم الإعدام .. وكانت أول ساحرة تقدم لهذه المحاكمة سيدة تجاوزت السبعين من عمرها وكانت كثيرة المشاكل والأهم انها كانت فقيرة إلى حد السرقات الصغيرة .. فلم ينج منها دكان الخباز والبقال والمطعم والجائلين من باعة الخضر ..

باختصار كانت نموذجا يصلح لتجربة المحاكمة العرفية عليه خاصة وليس لها عزوة تحميها وأن الكثيرين أيدوا وأكدوا أن السيدة ساحرة نشطة وأنها كانت تذهب للجبل لتحضراجتماعات الشيطان

لم تستمر المحاكمة أكثر من أيام أطلق بعدها العمدة "عزام" حكم الإعدام عليها ونفذ الحكم فى اليوم التالى بساحة القرية الرئيسية

بعدها وبتشجيع الأهالى لما حدث .. توالت الاتهامات وقرارات الإعدام وقيدت النساء إلى عامود أنشاوه بالجبل تزفهن الشائعات ونظرات التشفى والغل وأحيانا الدموع

وتحول الأمر إلى جنون حقيقى فأصبح كل من يعارض هذه المحاكمات متهما بدوره كما حدث قديما فى القرون الوسطى .. وكأن التاريخ مازال مغرما باستنساخ نفسه مجدداً ..

إزداد جنون أهل القرية .. فإنتشر الذعر بين المتهمات كل يحيل الإتهام لكل وساد الظن بأن من يتهم غيره فهو برىء من تهمة العمل بالسحر هرباً من التنكيل الذى وصل إلى الرجم بالحجارة أو الصلب على عامود بالجبل أو غير ذلك من وسائل القتل بعد التعذيب

فرصة يقتنصها لئام البشر لتصفية الحسابات وإثبات الذات على حساب الآخرين .. وممارسة غريزة سفك الدماء والإنتقام المتغلغلة فى نفوس بنى آدم .. وامتلأ جو القرية بالكرة والبغضاء وإنفجرت حمى القسوة والتشفى بشكل فاق الحدود

فكانت الشحاذة المختلة عقلياً هى أول متهمة تعترف بممارسة السحرعلى أمل النجاة من موت محقق لكن دخول "عزام" إلى مسار الأحداث قلب الموازيين ..... فقرروضع حد لما أسماه المهزلة القائمة مهما كان الثمن .. و هكذا قتلت الشحاذة ظلماً دون محاكمة ..

وكان يطلق على تلك المحاكمات العرفية .. محكمة الصمت .. هدفها تدمير كل السحرة وإلتماس البركة من مقام راس جد "المنياوى" المدفونة فى المقام المزعوم فالغوغاء دائما ما يتمرغون فى إلتماس الحماية من أى شىء مجهول .. وكان"عزام" أكثر المتحمسين لعملية صيد السحرة فهو العمدة والزعيم ..

وإستبد الخوف بالعجوزالتى إشتهرت بكثرة مشاكلها مع الجيران وذهبت إلى "هاجر" يوما راجية أن تعمل لها عملاً للإضرار بجيرانها فقد كانت المتهمة التالية ..

قبض الأهالى عليها وجروها فى عنف إلى دوار العمدة القدير "عزام"

العجوز ترى الموت قادمًا لا محالة وفكرت أيضاً أن الإعتراف بنيتها فى الإضرار بجيرانها قد يعفيها من التحول إلى كبش فداء

ثم قررت الإعتراف أيضاً بأنها ساحرة ذات قوة تضاهى وتفوق قوة الساحرة "هاجر" حتى يخافونها .. وإدعت أنها قابلت رجلاً طويلاً فى الجبل تعتقد أنه الشيطان وأنه جعلها توقع فى كتابه على السمع والطاعة ليوفر لها الحماية .. وأن الويل لهم لو مسوها بسوء ....

هذه التصرفات كان من شأنها أن تؤكد للقرويين أنهم على الطريق الصحيح .. فهاهن يعترفن

وتفاقم الوضع فالكثير مدانون فى القرية بممارسة السحر الأسود .. وأصبحت القرية كمحاكم تفتيش العصور الوسطى .. تلذذ الناس بممارسة القتل فى بشاعة

ليس هذا فحسب فقد أكدت خادمة أن سيدتها كانت تحضر اجتماعات السحرة مع "هاجر" فى مكان سرى بالجبال المجاورة .. وكان هذا إنتقاماً من سيدتها ...

وبالطبع لم ترق هذه المسألة للبعض فالصفوة والأسياد دائماً ما يعاملون غير الفقراء ... كلنا يعرف هذا ويرضخ كالغبى المغيب .. حتى المتمسحين بالدين كالخرفان فعلوا هذا .. وأصبحنا فى نظرهم بمجرد إمتطاؤهم للحكم .. مجرد بغال ..

وكانت النتيجة أن ثار هجوماً ضارياً بين عائلتين إنتهى باتهام كل منهما للآخر بممارسة السحر وتشجيع أعمال السحرة

تحول الأمر إلى مهزلة حقيقية لا يمكن تخيل مدى فداحتها .. حتى أنهم إتهموا بالجملة طفلة لأنها ابنة إحدى المتهمات وكانت لم تبلغ العاشرة من العمر.... إتهموها أيضا بكونها ساحرة وظلت في الدوار المغلق المدجج بالحرس الذى أسموه سجن القرية والمكتظ بالمتهمين لعدة أشهر .. إنتهت بأن حضرت الطفلة إعدام أمها رجماً بالحجارة ... وقلبها يتمزق من الصراخ

الأغرب أنهم لم يكونوا في حاجة إلى كل هذا .. بل كان بمثابة تمهيد وإحماء بغية قتل "هاجر" ريثما تظهر ..... فهى فى نظرهم أساس اللعنة ..

عرضت تلك القضية المحلية على العمدة "عزام" الذى طالما كره الحاج فتحى والد"هاجر" وتوافد من آهل القرية .. كل إمعة يفتى بما يجعل لنفسه قيمة وليشهدوا هذه المحكمة الهزلية

قال قائل .. لن نستطيع مجابهة هؤلاء السحرة وجهاً لوجه .. تذكروا ما فعلته بنا مسبقاً .. وما الحل إذاً ... قال ثان وقد بدا وكأن ذهنه قد تفتق عن حل عبقرى : "الغيلة" .. طلقة طائشة مفاجئة من مكان خَبيىء .. فقد ثبتت فاعليتها وماتت "زاهية" وكلبها هكذا ..

وكانوا صائبين بالصدفة لأن"هاجر"وإن كانت هناك قوى تساندها لكنها فى النهاية إنسانة عادية

وهكذا إنتظروا ظهور "هاجر" بفارغ الصبر .. وجهز عزام بندقيته فعمرها ووضعها إلى جانب باب داره .. حتى أخبروه بظهور "هاجر" فى أرجاء القرية .. وإجتمع الناس يشهدون بطلهم المغوار ..

أطلق الرجل عياره من وراء الجدارمباشرة إلى هدفه فأصابه فى مقتل .. خرت المسكينة صريعة فى الحال .. ماتت مثلما ماتت قبلها "زاهية" فقد كانت إنسية أيضاً ..

هلل الهمج فرحين مهنئين وإنقضوا على الجثمان يريدون تمزيقه .. علمت "رجاء" فهرعت فزعة .. فرح الهمج بوجود متهمة أخرى على مسرح الحدث .. وأعاد "عزام "حشو بندقيته الخرطوش سريعاً .. ألقى الأهالى برجاء على الأرض وفى اللحظة التى هموا بوطأها بأقدامهم برز من الأرض بجوارها الكلب المتوحش الذى كان قد قتل مسبقاً .. برز كما تبرزالحشرات لو دفنتها فى الرمال ..

قامت "رجاء" من رقدتها وإستدارت للجمع .. لكن من قام لم يكن "رجاء" كان شيئاً يتمثل صورتها .. عندها أطلق الكلب صيحته منتظراً أمرها .. صوت همس له من العدم ... "هيّا .. إلتهم الأعناق !".. وحالاً إنطلق الحيوان كالقذيفة ناهشاً حلقوم "عزام"..

جثم الكلب على صدره وفى ثوان إستخرج حلقومه فى فمه ثم إستدار فنهش أقرب المهاجمين وتدحرج به على الأرض .. ثم تضوّر ضارباً الأرض برجليه قافذاً قفزة رهيبة فأتى بأقرب فرد من الفارين .. وفى النهاية خمد راجعاً إلى حيث بدأ .. فحفر الأرض وغاص تحت الثرى ..

كانت جموع الغوغاء تهرع من المكان رعباً يصرخون ويدوسون بعضهم بعضاً ..
وما زالت "رجاء" جالسة عند جثمان أم حبيبها تبكى إمرأة لم تعرفها .. تفرغ عليها حزناً بدلاً من إبنها الغائب

وما أن حل المساء حتى كانت جثة "هاجر" في بيتها .. راقدة فى سريرها مشرقة الوجه فتية أسارير وجهها كانت تشى بأنها قد إرتاحت بعد عناء .. أزاحت هماً ثقيلاً .. وطأتها سنين كثيرة

كأنها قد نامت ملء جفنيها بعد مجهود شاق أثقل كاهلها ..... لم يعرف أحد من الأهالى كيف نقلت القتيلة إلى بيتها ..؟ .. ولا كيف وأين دفنت بعد ذلك .. ؟ ... وبعد أيام كانوا يقولون أن بعضهم رآها تطير فى الهواء فى الليالى المظلمة لتنضم إلى الشيطان فى وكره بالجبل ..

كانت "هاجر" تنتظر عودته كي تودعه الوداع الذى ليس من بعده لقاء .. فقد آن له أن يدخل طوراً آخر .. هى تعلم هذا .. ولكن الموت لم يمهلها ما كانت تصبو اليه .. وقبض روحها من على الأرض ..

ولنعد إلى أهل القرية فقد قال عاقل من القرويين أن النساء يعترفن بممارستهن بالسحر هرباً من الحكم بالموت فوجد نفسه متهماً هو وزوجته بممارسة السحر وقيد إلى المحاكمة .. صرخ رافضاً إتهامه وشكك فى نوايا العمدة .... لكن الأمر إنتهى به إلى الصلب بالعامود المقام فى الجبل حتى الموت .. هكذا سارت الأحداث من سيئ إلى أسوأ ..

إستمر الهزل حتى بلغ عدد الضحايا ثلاثين ضحية شنقوا أو صلبوا أو رجموا أو أطلق عليهم الرصاص وأربع ماتوا فى السجن .. وسيدة رفضت المحاكمة فسحقوها أسفل الصخور دون محاكمة ...

وكما ولد الجنون فجأة .. إختفى فجأة .. فعندما جاء الخريف إنتهت هستيريا صيد الساحرات

كادت المذبحة أن تنتهى .. لكن التاريخ لا يرحم ولا ينسى والقاتل أبداً لابد مقتول

وتظل الأيام تعيد إلى أذهان القرويين الكثير ... لكن السؤال الذي سيظل بلا إجابة هو.. كيف يستبد الجنون بقرية بأكملها ؟!! وكيف إجترأوا هذه الترهات ؟!! ..... لا أحد يعرف .. " التاريخ ليس قصاً لما حدث بل هو ما نتذكره وكيف نحكيه ولأى جهة نتحيز" كثير من أبطال الحكايات القروية مغوار وهو فى الأصل كأدهم الشرقاوى ووليم تل .. مجرد لص حيكت حوله الأساطير ..

مضت الأيام وظهر "حسام" على الساحة بعد غياب .. عاد ليحصل على خبر هز كيان عالمه لكنه كان ثابت الجأش مكشراً فى تحدٍ صارم كأنه كان يعلم بما حدث لأمه ..... لكنه لسبب ما لم يستطع التدخل ..

يغمض عينيه بكل إنكسار ويفتحهما لتسيل دمعة بشرية ساخنه على وجنتيه عزاءً على من فقدها بلمح البصر.. من قتلها هو غريم لا يستطيع ان يقهره .. الموت .. نعم الموت عند البشر هو الذى قتل أمه البشرية التى أحبها ..

احب طيبتها .. وأحب مرحها وحنوها وخوفها عليه .. كانت له بمثابة روحاً .. فهى إنسية .. لم تكن مثله .. قلبه لم يكن كقلوبنا .. لكنه ينبض مثلها ..

لم يكن"حسلم" أو لنقل "زين "أوكلاهما فى كيان واحد ككلب "زاهية" نصف تكوين .. كان من كون آخر له قوانينه .... وموت البشرقانون لا يطبق عليه .. هو كائن طفيل يعيش فى أرحام نساء البشر وإن لم تكن هذه هى القاعدة .. فهم أيضاً يتناسلون ..

لكنهم كالنحل لهم أنواع ... والكائن المتكون داخل مجتمع البشر مميز كملكات النحل .. لأنه يكتسب من ذلك أشياء مضافة .. والحذر كل الحذر من أشياء .. لو إكتسبها دمرته ...

أحب تلك الإنسية التى نما فى بطنها حبا جنونيا واعترته دهشة ممزوجة بالحزن إلى درجة أن فكر بإفناء نفسه على طريقة قومه عندما شاهد بالبيت كل شيء تركته الإنسية بعد موتها .. الحزن عندهم أيضاً غير وارد .. فهو من طبائع البشر .. وهو ما لا يجب أن يتسلل إليه أبداً

لم يعد يستطيع البقاء بين هذه الجدران التي إحتوتهما حياة بطولها والتى إحتفظت بألف ذرة من روحها ومن نفسها .... هم بالمضى إلى عشيرته فهو الآن على أعتاب أن يكون "زين" فقط وليس "حسام"

ولكن ما أن وصل إلى الباب حتى مر بالمرآة الضخمة إلى جانبه ..... !

تلك المرآة التى وضعتها الأم هناك لتلقى عليه نظرها بين الحين والحين لتعرف أهو "حسام" أم تحول إلى "زين" أم مزيج بين الإثنين .. كانت صورته فى المرآة هى التى تخبرها .. فعندما يكون فى حالة "زين" لا تظهر له صورة فى مرايا البشر .. وإن كان مزيجاً ظهرت صورته باهتة ..

وقف لوقت قصير أمام المرآة التى كانت قد عكست صورته فى كثير من الأحيان .. حتى أيقن من إحتفاظ المرآة لصورة تلك الإنسية التى كان يناديها أمه ... ظل واقفا أمامها طويلا ....

ارتجف وعيناه ثابتتان على المرآة المستوية العميقة الفارغة من صورته هو بينما أظهرت روح الإنسية "هاجر" والتى حوتها كلها وإستحوذت عليها تماما مثلما إستحوذت عليه فيما مضى .

شعر بحبه وتوقيره لتلك المرآة التى لم تكن تخضع لقوانين جنسه .. أخذ يتلمس صورتها بيده

كانت باردة كالموت مؤلمة لقلبه محرقة ليده .. مروعة لإحساس ليس من شيمة جنسه البشع الذى لا يعانى من آلام كهذه الآلام أبداً .. ما أسعد ذلك الكائن إن وجد ما يُنسى قلبه كل شىء

إنطلق بعد ذلك نحو مقبرتها .. قبرها بسيط ليس له شاهد .. مجرد حفنة من تراب .. بكى بكاء البشر .. تلك الإنسية التى أحبت "زاى" وناضلت فأحضرت قلبه وحملت "زين" فى أحشائها ثم ربته إبناً ..وتحملت شظف العيش .. ثم ماتت غيلة وغرست تحت التراب .

بكى "زين" وأن أنيناً حزيناً كالبشر .. تحيب ممض وجبينه إلى الأرض ... وقف هناك لوقت طويل وبدأت سُتر الظلام تقترب رويداً رويداً واستحوذت عليه رغبة يائسة .. رغب أن يقضى ليلته يبكى فوق القبر ولكنه ليس بشراً ليفعل مثلهم .. العاطفة لديهم شىء آخر

قال: ما أصغر دنياهم مقارنة بدنيانا التى نعيش فيها .. وداعا أيها الأموات .. وداعاً أيتها الإنسية التى عانت من أجلى .. ليتك كنت منا .. لم يكن أحد ليجرؤ أن يمسسك .. ويمنحك موتاً وفناء

ها هو يجلس أمام المقبرة حيث الأرض المهملة وشجيرات الشوك القاتمة .. يالها من حديقة حزينة .. وحده هناك على الثرى .. جاثماً تحت شجرة كانت أيضاً ميتة جرداء ... خبأ نفسه وسط أغصانها المتشعبة الداكنة وتدثر بحلكة الظلام ..

وأتت الإنسية الأخرى ... "رجاء" .. دلها قلبها أن الحبيب قد عاد إلى مثوى أمه الأخير ....

تابعت مسيرها إليه مسرعة الخطى تصطدم قدميها بالصخور ولما تبينت محياه فى الظلام ... هرولت إليه .. عيونها دامعة ويداها ممدودتان .... يد منها كان بها مخلبه الذىأعطاها إياه بحلمهما الجميل ..

تتلمس طريقها كالعميان تتحسس طريقها فى لهفة ... تتخطى الحجارة والصخور الذاوية ... تقرأ الدرب إلى حبيبها بأصابعها وأطراف أقدامها .. وكأنها تخشى ألا تعثر عليه ..

لم تكن الليلة مقمرة وزادتها الكآبة ظلمة .. تعثرت .. وقعت أرضاً .. طار المخلب من يدها ..

صرخ "زين " صرخة ألم دفين .. ضغط صدره بقوة بيديه .. تأكدت "رجاء" أن المخلب جزء منه .. أسرعت وإلتقطته .. كان المخلب يومض وميضاً متقطعاً كأنه قلب يلفظ أنفاسه ..

إحتضنته براحتيها .. ضمته إلى صدرها .. أحست به ينبض فى إطمئنان كوليد لجأ إلى صدر أمه ..

إرتعد قلبها حنواً فى تلك اللحظة تلك الرعدة الواقعة من أم .. وجلست على الأرض تلهث ... لم تعد تقوى على السير أكثر .. أحست ركبتاها ضعيفتين لا تقويان على حملها ..

إستطاعت أن تسمع ضربات قلبها بوضوح ... وسمعت شيئا آخر أيضا .. ماذا؟ .. إنه صوت ضجيج غامض مضطرب ... ترى هل كان ذلك الضجيج في راسها أم مصدره شيء آخر فى الظلام الحالك ... أم تحت الأرض حيث المجهول ؟ تلفتت تبحث عن حبيبها ..راحت تنظرحولها

لم يكن موجوداً .. شلت قدرتها من قرط الذعر والبرد والخوف ... لم يبق لها سوى الصراخ أو الموت.

وفجأة بدت لها أن الأرض التى تجلس عليها تتحرك .... وكأن صخورها كانت ترتفع مزيحة التراب من فوقها

قفذت واقفة وشاهدت بوضوح حجراً وهو يرتفع للأعلى فى الهواء ... بعد ذلك ظهر الميت يرفع الحجر الذى يغطيه بظهره المنحنى .. عظام نخرة يكسوها بعض اللحم المتهدل ..

شاهدت ذلك بوضوح كامل مع أن تلك الليلة كانت حالكة الظلام وإستطاعت أن تتبين ملامح الشبح الذى خرج من الأرض .. كانت تشبه "هاجر" .. لكن لا يمكن أن تكون هى .. الميتون لا يعودون .. هو شىء تمثل فى صورتها بالتأكيد ..

قال هذا الشىء بصوت مبحوح وكأنه شرخ السنين : "زين" ... "المخلب" ... عمرك أصبح عندنا وداخلك جزء منا .. فإحفظيه ..

كلمات متعثرة كأن أحداً يتكلم بغير لغة ألفها .... رقد الشبح مرة أخرى على الثرى و سعى التراب إليه ليعيد دفنه .. أفاقت رجاء وكأن غفوة كانت قد طالتها

ألقى بصيص ضوء القمر المستتر خلف الغيوم ظلاً لما خلفها ..أدارت وجهها إليه .... الليل مازال فى منتصفه وعيونها تنظرإليه وكلها دموع .

إحتفظ بشىء من الهدوء .. حدق فى وجهها وأمطرها وداً .. إبتسم ساكتاً .. كلماته تعثرت .. يريد أن يشرح لها .. قال : لست "حسام" الذى تعرفين ..... الآن .. أنا "زين" ..

هل يتابع حديثة عن الكون الواسع ومافيه من مجرات هل ستصدق كلامه ؟ وإن صدقت فهل ستعيه ؟ هيهات أن يكون له هذا ..

نظر بعينيه المغرورقتين إلى المكان الذى إحتوى الجسد الذى بنى نفسه داخله يوماً .. إرتكز راكعاً يكتب بإصبعه حروف واضحة :هنا يرقد جسد عزيز أفنيت روحه غدراً .. قتلوها سعداء وتمنوا ألا تموت سريعاً ليستطيعوا تعذيبها

قوم يغشون ويسلبون ويظلمون لا يعرفون إلا ما يمليه عليهم خيالهم ..... يستملحون السوء يعبدون البغض .. يرون الباطل حق ..

إنتصب "زين" وقفاً دون حراك بعد أن إنتهى من الكتابة .. التفتت رجاء حولها فوجدت الأرض قبوراً مفتوحة إنبثق منها الموتى وراحو يطمسون ما كتبه زين على التراب .. لما وصفه به أقرباؤهم وإستبدلوا تلك السطور بما يؤمنون به .

جميعهم كانو موذيين غشاشين منافقين كذابين وأشرارا .. كانوا يسرقون ويخدعون ويقومون بكل عمل شنيع هؤلاء هم أهل القرية .. هؤلاء هن الزوجات الغيرمخلصات .. هؤلاء هم الأبناء الغير بررة ..هؤلاء هن الفتيات الغير عفيفات .. هؤلاء هم التجار الغيرالشرفاء .... كلهم كانوا يكتبون أن العذاب مقرهم الأبدى الحق إلى قيام الساعة .. لكنهم يبغون زوراً وكذباً

تلك هى الحقيقة المخيفة والمقدسة التى يجهلها الجميع أو يتظاهرون بانهم يجهلونها عندما كانوا على قيد الحياة ..ما يرونه حق كان الباطل بعينه .. ومازال الزمن قيد دار البطلان ..

مازالت الأجداث تفتح وتبرز من الأرض .. عالم يفوق عدده كل توقع .. قام الميتون من غابر الزمان يسعون .. رخامات القبور التى تحمل هوية المتوفى مذيلة بإسمه كانت تبرز أولاً ..

وبالقرب منها صعدت من الأرض رخامة قرأت فيها إسمها "رجاء المنياوى" ركضت إليها و الخوف يملأها .. متاكدة هى أن وهماً مجنوناً يحيط بالمكان فهى مازالت حية لم تمت ..

قرأت على لافتة قبرها الرخامية عبارة تقول : أحبت وحملت سر الحياة وماتت بعد أن أسلمت حياتها وإحتفظت بروحها للعلم الأبدى .. "رجاء هاجر"

فى اللحظات الأولى من الصباح بدأ "زين" فى السيطرة على "حسام" فينهى وجوده و يظهر جلياً .. وسط الحشود الهامسة .. تغير شكله كثيراً لم تستطع "رجاء" أن تبين ملامحه .. لكنه لم يكن أبداً "حسام" قال صارخاً فيهم .... هيا أبناء الليل ألا إنطلقوا ..

عثروا عليها فى اليوم التالى عند الفجر مستلقية على القبر ومغمى عليها .. كان من الطبيعى أن يقتلونها شر قتلة .. لكنهم لم يفعلوا .. فلم يستطيعوا ..

وفى ضواحى القرية .. كان الهلع يسود .. فقد دخلت المسوخ البيوت لتنفذ الحكم الذى أصدره الأمير "زين" فيهم ... كل من له مظلمة من وجهة نظره عند البشر ذهب ليأخذ منهم حقه

و"زين" نراه يسير وسطهم رافعاً رأسه فى هدوء .. يشاهد المجزرة مطبقًا فمه في صمت وهو سبب حصولهم على هذا الحكم ..

هرولت "رجاء" تسير وسط أهل القرية السكارى .. الذين أخذوا يرددون همسًا إنها ساحرة وإنه ساحر.. لاقبل لنا بهم .. و"زين" يتفقد الأمرلا يهتز لحظة ولا يتدخل

فهذا هدموا بيته ومددوه على الأرض ونزعوا عنه ملابسه ليضعواعلى صدره أطلال المنزل ليموت تحتها وهذا شرعوا في إلقاء الحجارة الضخمة فوقه .. وهذا يجبرونه على أن يزدرد النقود فى معدته حتى يخر صريعاً ..

وأخريضغط أسفل الصخور الثقيلة .. حتى ينسحق جسده تمامًا ..على مرأى من الأهالى وسمعهم

لم يتوقف أهل القرية عن الهمس وهم يشاهدون ذلك المشهد أمامهم وأجساد الناس أسفل الأثقال المتزايدة على صدورهم العارية حتى أن بعضهم أقل يصرخ طالبًا أن يسرعوا فى وضع الصخور الثقيلة ليسرعوا من موته وينتهى عذابه ....

تلك الأحداث التى قال من رآها فيما بعد باليوم الرهيب .. وقال من لم يحضرها أسطورة الأولين المجانين .. فمعظمهم تلوث عقله يهذى بما لا يصدق ..... وفى النهاية نسى الجميع الحكاية برمتها .. ولتمض الحياة كما كانت ..

فرد "زين" جناحين برزا من شق فتح فى ظهره .. حمل "رجاء" بيد وشق بها عنان السماء لترى القرية من علٍ والنيران تشتعل هنا وهناك من بيوتها ..

قال لها : لقد إستحقوا هذا المصير .. العدل ليس ما يظنونه فاعلين ..... هيا لقد أصبحت منا ولك شرف أن تكونى رفيقتى وحاملة لسلالة الأمراء ..

سنرحل إلى النجم بحثاً عن الحلم والأمل .. القمر والليل وصباح الشمس الهاربة من جديلتها قبل أن تستعيد فتوتها فتتخلص من بكاء الروح لننضم للرفاق فى المهجع فوق السحاب .....

إستعادت الحلم الذى إخترق جمجمتها .. وفى عينيها ألف إستفهام .. حاول التخلص من أسئلتها قال .... ودعى حياة مرت وإستقبلى أفضل منها .. أدار وجهه نحو اليمين ثم الشمال .. لكن ما قاله لم يهزم قلقها ولم ينسها واقع أليم .

حتى الطبيعة تألمت وفاض حزنها ولوت الأشجار أغصانها فى ذاك اليوم الذى إستعاد اللون القرمزى

أخذ "زين" يرسم طريقه إلى عالم فوق سحاب تلك الجبال الوعرة المسالك التي تتناثر فيها الحجارة السوداء .. قامة تقضى إرتفاعاتها إلى إنحدارات ومضانق .. جبال عرف هو كنهها الممرات والكهوف التي أختبأ فيها قلب "زاى" ووطنتها أقدام "هاجر".. زمن لا حدود له .. ليل لا نهاية لعتمته

فتح بيده الخالية جزء من صدره وقال هيا ضعى المخلب حتى يكتمل واقعى فقد آن الأوان .. أخرجت المخلب من تلابيبها و شددت عليه قبضتها .. ثم أفلتته فوق أول نار عبرا عندها ..

صرخ "زين" وتفتت جسده فى الهواء .. وهوت المسكينة من وسط السحاب .. إغماءة الخوف أغابت الوعى عنها .. لتجد نفسها على سريرها .. تعانى آلام الوضع .. لكن صورتها تغيرت

كانت "هاجر" وليست "رجاء المنياوى" من ترقد على السرير ..

تمت